

الحج ضيافة الله



سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا
الْحَمْدُ لَكَ يَا رَبَّنَا
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا

الحج ضيافة الله

سماحة المرجع الديني آية الله العظمى الحاج
السيد محمد باقر المدرسي

هوية الكتاب

الكتاب: الحج ضيافة الله.

المؤلف: المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دام ظله.

الطبعة الرابعة: ١٤٣٩ هـ / ٢٠١٨ م.

الناشر: مركز العصر للثقافة و النشر.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ
فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا
تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ
الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ

البقرة: ١٩٧



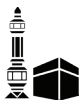


المحتويات

المقدمة	١١
شذرات من الاحاديث	١٥
أحب الى الله تعالى	١٥
من معطيات الحج	١٥
من ختم القرآن بمكة	١٦
تسيحة بمكة	١٦
النظر الى الكعبة	١٦
الجنة ثواب الحج	١٧
من حج البيت	١٧
الحجاج على ثلاثة اصناف	١٧
إستبشروا بالحاج	١٨
لمن يعوق اخاه عن الحج	١٨



- من مات ولم يحج ١٨
- ١ - جوهرة الايمان ١٩
- الايمان جوهرة وتجليات ٢١
- الحج جوهرة الايمان ٢٢
- خصائص الحج الاجتماعية ٢٥
- ٢ - محطة التقوى ٣١
- ٣ - بوتقة الاخلاص ٣٩
- ايام مباركات ٣٩
- الله قريب منا ولكن ٤١
- ضرورة الاخلاص ٤٣
- في استقبال ايام الحج ٤٦
- ٤ - موقف المعرفة ٤٩
- ٥ - تطلعات اجتماعية ٥٥
- الانغلاق مشكلة بشرية ٥٥
- العلاقات الاجتماعية هي الحل ٥٧
- الحج مبعث عطاء ٦٠
- العزة في الوحدة والايمان ٦٢
- ٦ - وسيلة التعارف ٦٥
- حكمة التعارف في الحج ٦٦



الحضور المعنوي هو الاساس	٦٧
اهمية التعارف في توثيق العلاقات	٦٩
هل نحن في مستوى التعارف؟	٧٠
ضرورة استقاء المعلومات	٧١
الشعور السائد في الحج	٧٤
من منافع الحج	٧٥
٧- فرصة التغيير	٧٧
خلاصة العمر	٧٨
ولادة جديدة	٨٠
٨- علاج مشاكل الأمة	٨٧
اين نحن من الأمة القرآنية	٨٧
الاستجابة لنداء الحج	٨٨
المنفعة الكبرى للحج	٨٩
الحج.. علاج مشاكل الأمة	٩١
الميزان القرآني	٩٣
٩- دعوة للتطوير الحضاري	٩٧
ضرورة معرفة منافع الحج	٩٨
الحج قمة الشعائر الایمانية	٩٩
تكريس حالة الخضوع للخالق	١٠٠



- مجالات منافع الحج ١٠٢
- ١- الاحساس بالشخصية والكيان ١٠٢
- ٢- ايجاد تموج فكري ١٠٣
- ٣- بناء الكيان الروحي ١٠٣
- ٤- التموج الحضاري ١٠٤
- هل نحن في مستوى هدف الرسالة ١٠٥
- الامثال للقيادة من مقتضيات الحج ١٠٧
- الاسلام دين الحضارة ١٠٨
- ١٠- نموذج الحضارة الاسلامية ١٠٩
- الحضارة الاسلامية افق بعيد ١١٠
- التوحيد سنام حضارة الاسلام ١١١
- الحج نموذج الحضارة ١١٢
- مكة مركز الانتشار الحضاري ١١٣
- مكة من الحرمات الالهية ١١٤
- حضارة الطهر ١١٧
- حضارة الانفتاح ١١٨
- حضارة متكاملة ١١٩



المقدمة

على الرغم من أن مكة المكرمة لم تحطها البساتين الزاهرة والحقول الخضراء، ولم تتزين بأنهار جارية كالنيل والفرات، ولم تعش طقساً لطيفاً من حيث المناخ، بل هي واقعة بين جبال وعرة، وتحيطها صحارٍ قاحلة، وحرارة الشمس فيها تجعل من رمال الصحراء ناراً تلتهب.. مع ذلك تجد المسلمين من كافة أقطار العالم يسعون جهدهم كل عام ليحضروا في هذه البقعة المباركة، ليؤدوا مناسك الحج التي دعاهم الله تعالى إليها في

قوله للنبي ابراهيم عليه السلام:

﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ الْفَقِيرِ﴾^١.



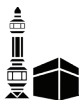
الحج ضيافة الله

وثمة سؤال كثيراً ما يراود البعض، وهو: لماذا الاصرار على المشاركة السنوية في موسم الحج، حتى ان البعض حضر الموسم أكثر من عشر مرات، ولا زال يريد الحضور أيضاً، في حين ان الواجب في اداء هذه الفريضة يكفي ان يحج الانسان مرة واحدة؟

بغض النظر عن اداء الواجب من مناسك الحج، لا بد من القول إنّ الحضور في هذا الموسم إنما يبعث في الانسان روح الايمان والتقرب الى الله تعالى، كما وإن الانسان يكتشف نفسه من خلال اعمال الحج.

وحينما يدخل الحاج في ضيافة الله، يعيش الاطمئنان والراحة النفسية، ويدخل عليه السرور من حيث لا يحتسب.. لذا تجده يقاوم حرارة الطقس بكل بساطة، ويتكيف بتواجهه في مهرجان الحج المليوني دون أي ضجر من زحمة الحضور، ويتجاوز مشاكل السفر من سكن ووسائل نقل وما الى ذلك بكل رضى.

فكل الصعاب التي تعترضه تصبح في عينه اموراً سهلة، وكل مرارة تصيبه تضحى في فمه حلاوة.. لانه كله يقين بأنّ الأجر على قدر المشقة، فلا يأبه بالمشقة مهما تعاظمت، ولا



يبالي بالصعاب مهما كثرت.

وبالتأكيد كل من يعرف عظمة الحج وقيمته، وميزاته وفوائده.. تجد قلبه يتطاير شوقاً للمشاركة في الحج، وروحه تتلهف للحضور في هذا الموسم، وان كان ذلك يكلفه الغالي والنفيس.

ومن خلال متابعتنا لمحاضرات سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي دام ظله، وجدنا أحاديثه في خصوص الحج تزيد المرء معرفة وهدى، وتفتح له آفاق الخير والعمل الصالح.. مما تجعله لا يتوانى عن اللحوق بركب الحجاج. هذا ما دعانا الى جمعها وتحريرها لنقدمها لقرائنا الاعزاء في كتاب، آملي ان ينالوا منه نفعاً كثيراً، والله ولي التوفيق.



شذرات من الاحاديث

أحب الى الله تعالى

عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال:

«أَحَبُّ الْأَرْضِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مَكَّةُ، وَمَا تُزْبَةُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ تُزْبَتِهَا، وَلَا حَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ حَجَرِهَا، وَلَا شَجَرٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ شَجَرِهَا، وَلَا جِبَالٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ جِبَالِهَا، وَلَا مَاءٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ مَائِهَا»^١.

من معطيات الحج

قال الامام علي بن الحسين عليه السلام:

«حُجُّوا وَاعْتَمِرُوا تَصِحَّ أَبْدَانُكُمْ، وَتَتَّسِعَ أَرْزَافُكُمْ، وَتُكْفَوْنَ مَوُونَاتِ عِيَالِكُمْ». وَقَالَ: «الْحَاجُّ مَغْفُورٌ لَهُ، وَمَوْجُوبٌ لَهُ الْجَنَّةُ،

١ - من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٤٣.



وَمُسْتَأْنَفٌ لَهُ الْعَمَلُ، وَمَحْفُوظٌ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ»^١.

من ختم القرآن بمكة

قال الامام أبو جعفر عليه السلام:

«مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ بِمَكَّةَ لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ»^٢.

تسبيحة بمكة

قال الامام علي بن الحسين عليه السلام:

«تَسْبِيحَةُ بِمَكَّةَ أَفْضَلُ مِنْ خَرَاJ الْعِرَاقَيْنِ يُنْفَقُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»^٣.

النظر الى الكعبة

عن أبي عبد الله عليه السلام قال:

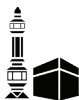
«مِنْ أَيْسَرِ مَا يُعْطَى مَنْ يَنْظُرُ إِلَى الْكُعْبَةِ أَنْ يُعْطِيَهُ اللَّهُ بِكُلِّ نَظْرَةٍ حَسَنَةً، وَتُمْحَى عَنْهُ سَيِّئَةٌ، وَتُرْفَعَ لَهُ دَرَجَةٌ»^٤.

١- الكافي، ج ٤، ص ٢٥٢.

٢- المحاسن، ج ١، ص ٢٤.

٣- تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ٤٦٨.

٤- وسائل الشيعة، ج ١٣، ص ٢٦٥، كتاب الحج - ابواب مقدمات الطواف وما يتبعها.



الجنة ثواب الحج

روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَجُّ ثَوَابُهُ الْجَنَّةُ، وَالْعُمْرَةُ كَفَّارَةٌ كُلِّ ذَنْبٍ»^١.

من حج البيت

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَزِفْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^٢.

الحجاج على ثلاثة اصناف

قال الامام أبو عبد الله عليه السلام:

«الْحَجَّاجُ يَصْدُرُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ: صِنْفٍ يُعْتَقُ مِنَ النَّارِ، وَصِنْفٍ يَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهَيئَةِ يَوْمٍ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَصِنْفٍ يُحْفَظُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَذَاكَ أَذْنَى مَا يَرْجِعُ بِهِ الْحَاجُّ»^٣.

١ - مستدرک الوسائل، ج ٨، ص ٧، عن: الجعفریات، ص ٦٧.

٢ - المصدر، ص ٤١.

٣ - الكافي، ج ٤، ص ٢٥٣.



استبشروا بالحاج

عن أبي عبد الله عليه السلام، قال:

«كَانَ عَلِيٌّ بْنُ الْحُسَيْنِ عليه السلام يَقُولُ: يَا مَعْشَرَ مَنْ لَمْ يَحِجَّ اسْتَبْشِرُوا
بِالْحَاجِّ وَصَافِحُوهُمْ وَعَظِّمُوهُمْ فَإِنَّ ذَلِكَ يَجِبُ عَلَيْكُمْ، تُشَارِكُوهُمْ
فِي الْأَجْرِ»^١.

لمن يعوق أخاه عن الحج

قال الامام الصادق عليه السلام:

«لِيَحْذَرُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَعْوِقَ أَخَاهُ مِنَ الْحَجِّ فَتُصِيبَهُ فِتْنَةٌ فِي دُنْيَاهُ
مَعَ مَا يُدَّخِرُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ»^٢.

من مات ولم يحج

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحِجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ، لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ ذَلِكَ حَاجَةٌ
تُجْحِفُ بِهِ، أَوْ مَرَضٌ لَا يُطِيقُ فِيهِ الْحَجَّ، أَوْ سُلْطَانٌ يَمْنَعُهُ، فَلَيَمُتْ
يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»^٣.

١- المصدر، ص ٢٦٤.

٢- من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٢١.

٣- الكافي، ج ٤، ص ٢٦٨.



-١-

جوهرة الايمان

مظاهر الحياة وظواهرها تتصل بجواهر معدودات، وكل جوهر تتصل به مئات الظواهر والمظاهر. وأولو الالباب وهم العقلاء الحكماء من البشر، هم الذين ينفذون ببصيرتهم الى جوهر الحقائق، ولا يقفون عند المظاهر السطحية التي لا تغني ولا تسمن من جوع. مثلاً؛ نحن ندعو الله تعالى دوماً أن يرزقنا العافية، بتمامها وشمولها ودوامها، ولكن نتسائل: ما هي العافية؟

١٩

العافية هي أن تكون بُنية الانسان الاساسية سالمة، فحتى لو طرأ مرض من الامراض على هذا الانسان، فان هذا المرض سرعان ما يتلاشى ويتبدد ويعود الجسم بكامل صحته. أما إذا كانت بُنية هذا الانسان ضعيفة، فإن العافية لا تزوره. فلا يكاد يتخلص من مرض إلا ويبتلي بمرض آخر. إذن، نحن يجب أن



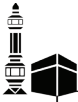
الحج ضيافة الله

نبحث عن جوهر العافية وليس فقط عن مظاهرها الخارجية. هذا في الانسان كفرد، كذلك في المجتمع، فبعض المجتمعات مثلاً تجدها مبتلاة بعشرات الاخلاقيات السلبية السيئة من قبيل الكبر، والرشوة، والدجل، والازدواجية، والخيانة، وعصيان من هو أكبر، وظلم من هو أصغر، والتفكك الاسري، وغيرها من الاخلاقيات السيئة.

ونتساءل: ما هو الخلق الفاضل في المجتمع؟

ويجيب علماء الاجتماع بأن اساس الخلق الفاضل في المجتمع هو ايمان ذلك المجتمع بالاخلاق بانها السبيل لسيرته في الحياة. فالمجتمع الذي يتمتع بالخلق الفاضل، هو المجتمع الذي يملك جوهر الاخلاق، بينما المجتمع الذي يفقد ذلك هو المجتمع الذي لا يعتمد الاخلاق منهجاً، ولا يتمسك بالآداب طريقاً، ولا يهتم بالجوهر الذي امر الله سبحانه وتعالى به.

لذلك مثل هذا المجتمع اذا تحدّثَ اليه عن مفردات الاخلاق، وارشدته الى السليم منها، ونبهته الى السقيم منها، فإنه لا ينتفع بذلك، لأنَّ المشكلة ليست مشكلة المصاديق والمفردات، وانما المشكلة هي أنَّ هذا المجتمع طبيعته اللا التزام واللا إهتمام واللا تأدب، لذلك تجد ان كل المفاسد



الاجتماعية متراكمة فيه.

الايمان جوهرة وتجليات

قد نتحدث عن الصلاة وعن الصوم وعن الصدق وعن الوفاء وعن سائر الواجبات التي امر الله سبحانه بها، ولكن كل تلك انما هي مفردات الايمان وتجلياته ومصاديقه. أما الايمان فهو شيء آخر.

فإذا كان الايمان ضعيفاً، فإنَّ كل هذه المصاديق تكون ضعيفة. فحتى لو صلى، فإنَّ صلاته لا روح فيها، فهو يسهو عنها، وبالتالي لا تنهاه عن الفحشاء والمنكر، ولا تأمره بالعطاء والانفاق للمساكين. لذلك فإنَّ الصلاة التي لا خشوع فيها، انما هي ويل على صاحبها: ﴿قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^١.

فبدلاً من أن تكون رحمة تكون ويلاً. وكما الصلاة، كذلك

سائر الواجبات التي قد يؤديها الانسان بصورة آلية.

إنَّ المجتمع الناهض، هو المجتمع الذي تكون جوهرة الايمان فيه جوهرة نقية، صافية، حقيقية، أما المظاهر فليست إلا مصاديق. فقد نجد مجتمعات مجتمعات كمجتمع



الحج ضيافة الله

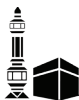
الكوفة في زمن الامام الحسين عليه السلام يقيم الصلاة بوقتها، ولكنه يجتمع مع ذلك على قتال حقيقة الصلاة وجوهرها ورمزها وامامها، أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

إنَّ جيش الكوفة بقيادة عمر بن سعد، أقام صلاة المغرب والمعشاء ليلة عاشوراء، وكذلك صلاة صبح يوم العاشر من المحرم، ولكن اية صلاة كانت تلك؟! انها الصلاة التي يصدق عليها قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. ويل لهذا الانسان الذي يصلي بهذه الصلاة، التي هي شرك وتصدية ومكاء. إنَّ صلاته بدل ان تكون معراجاً الى الله سبحانه وتعالى، فإنها تكون وزراً عليه.

الحج جوهرة الايمان

الحج من الفرائض الدينية التي تزيد جوهرة الايمان في الفرد، وكذلك في المجتمع. فالمجتمع الذي يبعث بوفده الى الرحمن سبحانه وتعالى، هذا المجتمع تزداد فيه جوهرة الايمان وحقائقه، وليست فقط مظاهره. ذلك إنَّ الحج ليس له جانب فردي فقط، وانما هو عبادة فردية واجتماعية.

فالانسان منذ ان يخرج من بيته متوجهاً الى الله سبحانه، وملياً داعي الله، فإنَّ الملائكة منذ تلك اللحظة تحف به،



ويخفق قلبه بالايمان، وينبض بالتقوى، ولا يواجهه في طريقه صعوبة أو مشكلة أو أذى، إلا وتسجل له بذلك حسنة.

إنَّ هذا الانسان هو في ضيافة الله، محفوفاً بملائكة الله، الى ان يذهب الى التلبية فينادي ربه: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ». وهنالك يستجيب الله سبحانه وتعالى له، لانه ضيف عند اكرم المضيفين.

وهكذا فإن هذا الانسان منذ لحظة خروجه من بيته حاجاً، الى ان يصل الى الميقات، ومن الميقات الى مكة المكرمة، الى ان يكون في وادي عرفة، فإذا كان ظهيرة يوم عرفة في ذلك الوادي، فإنه يُقال له: «قَدْ غُفِرَ لَكَ وَطَهِّرْتَ مِنَ الدَّنَسِ فَاسْتَقْبِلْ وَاسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ»^١.

وكما جاء في الحديث عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «سَأَلَ رَجُلٌ أَبِي عليه السلام بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنَ الْمَوْقِفِ [عرفات] فَقَالَ: أَتَرَى يُخَيِّبُ اللَّهُ هَذَا الْخَلْقَ كُلَّهُ؟ فَقَالَ أَبِي: مَا وَقَفَ بِهَذَا الْمَوْقِفِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ مُؤْمِنٌ وَلَا كَافِرٌ إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ»^٢.

فهذه الاوراق من صحيفة أعمال الحاج التي طلائها بالسواد

١- بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٦٢.

٢- بحار الأنوار، ج ٩٦، ص ٢٤٩.



الحج ضيافة الله

بأعماله السيئة في كل حياته، تتساقط عنه وتزول، ويفتح صفحة جديدة، ويكون كيوم ولدته أمه. ولكن المشكلة تبدأ بمجرد خروجه من عرفات، لأنَّ الشيطان يلحقه مرة أخرى، كما جاء في الحديث الشريف، لذلك فإن الكثير من المؤمنين يتمنون الموت في تلك اللحظة، ويدعون الله بذلك.

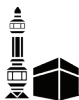
وروي: «أَنَّ الْحَجَّ أَفْضَلُ مِنَ الصَّلَاةِ وَالصَّيَامِ، لِأَنَّ الْمُصَلِّيَ إِنَّمَا يَشْتَغِلُ عَنْ أَهْلِهِ سَاعَةً وَأَنَّ الصَّائِمَ يَشْتَغِلُ عَنْ أَهْلِهِ بَيَاضَ يَوْمٍ، وَأَنَّ الْحَاجَّ يُشْخِصُ بَدَنَهُ، وَيُضْحِي نَفْسَهُ، وَيُنْفِقُ مَالَهُ، وَيُطِيلُ الْغَيْبَةَ عَنْ أَهْلِهِ، لَا فِي مَالٍ يَرْجُوهُ وَلَا إِلَى تِجَارَةٍ»^١.

ذلك ان الحاج يواجه في الحج تلك الصعوبات؛ في عرفات، وعند الجمرات، أو في الطواف. وقد يواجه هناك الموت من شدة الحر والزحام، فهو حاسر الرأس امام اشعة الشمس اللاهبة، وهو هناك ليس فقط لا يجوز له ان يزاحم أحداً أو يدفعه، بل حتى الجدال بالحق لا يجوز له: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^٢.

فهو لا يستطيع ان يقول لا والله، بلى والله. فهناك تسليم

١ - من لا يحضره الفقيه، ج ٢، ص ٢٢١.

٢ - البقرة: ١٩٧.



مطلق لله عز وجل.

والمجاهد اذا يُقتل فهو قد قاتل وقُتل وقُتل، أما الحاج فانه إن مات مات بدون ان يدافع عن نفسه، ولو كان يدافع عن نفسه لربما لم يمت. وهذا التسليم المطلق يربي في الانسان جوهرة الايمان ويصقلها ويصبغ حياته صياغة ايمانية جديدة.

خصائص الحج الاجتماعية

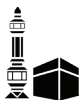
لو نظرنا الى الحجاج وهم يطوفون حول البيت الحرام، وسألناهم من أي البلاد هم، لوجدنا انهم قد اجتمعوا من كل بلد، قريبٍ أو بعيد. ولو اخذنا مثلا الف حاج كعينة، لوجدنا ان كل واحد من هؤلاء ربما هو من منطقة تختلف عن مناطق الاخرين. وهذا يزيد ايمان الامة بنفسها وبقيمها وبكتابها وبرسولها، وبالتالي بالله سبحانه وتعالى.

لذلك جاء في الحديث الشريف عن الامام الصادق عليه السلام: «لَوْ تَرَكَ النَّاسُ الْحَجَّ لَمَا نُؤْظِرُوا الْعَذَابَ» أو قَالَ: «أُنْزِلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ»^١. أي ان الامة الاسلامية كلها ستدمر وتزول، فبقاء الامة ببقاء الناس حول الكعبة. وجاء في حديث آخر عن



الإمام الصادق عليه السلام: «لَا يَزَالُ الدِّينُ قَائِمًا مَا قَامَتِ الْكُعْبَةُ»^١.
لقد جعل الله سبحانه الكعبة هدىً ورحمةً وبركةً للامة
الاسلامية جميعاً، وفي كل منطقة من المناطق، حتى البعيدة
منها. فالامة انما تعيش بالكعبة. لذلك يقول ربنا سبحانه
وتعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾ أي قلنا لابراهيم:
هنا مكان البيت ﴿أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا﴾ من هذا نستفيد؛ ان
هناك علاقة بين بيت الله الحرام، وبين التوحيد في المجتمعات.
ثم قال ربنا عز وجل: ﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ
السُّجُودِ﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ
يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ^٢.

لقد جاء ابراهيم عليه السلام بزوجه هاجر وطفله الصغير اسماعيل،
وتركهم في تلك الارض القاحلة بين الجبال بأمر الله سبحانه
وتعالى، والذي امره ايضاً بأن يصعد ركناً ويدعو الناس للحج.
جاء في الحديث عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام، قال:
«لَمَّا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ بِبُنْيَانِ الْبَيْتِ وَتَمَّ
بِنَاؤُهُ أَمَرَهُ أَنْ يَصْعَدَ رُكْنًا ثُمَّ يَنَادِيَ فِي النَّاسِ: أَلَا هَلُمُّوا الْحَجَّ، هَلُمُّوا
الْحَجَّ. فَلَوْ نَادَى: هَلُمُّوا إِلَى الْحَجِّ لَمْ يَحْجِ إِلَّا مَنْ كَانَ يَوْمَئِذٍ إِنْشِيَاءً



مَخْلُوقًا، وَلَكِنَّهُ نَادَى: هَلُمَّ الْحَجَّ، فَلَبَّى النَّاسُ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ:
لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ لَبَّيْكَ دَاعِيَ اللَّهِ. فَمَنْ لَبَّى عَشْرًا حَجَّ عَشْرًا، وَمَنْ
لَبَّى خَمْسًا حَجَّ خَمْسًا، وَمَنْ لَبَّى أَكْثَرَ فَبَعْدَ ذَلِكَ، وَمَنْ لَبَّى وَاحِدًا
حَجَّ وَاحِدًا، وَمَنْ لَمْ يَلْبَلْ لَمْ يَحْجْ»^١.

لذلك ترى الناس حين يأتي موسم الحج ترى قلوبهم
تتلهف للحج، واذا بالامور تنهياً لبعضهم فيؤفّقون للحج،
ولا تنهياً للبعض الاخر فلا يؤفّقون. وهذا التوفيق، انما جاء
منذ ذلك اليوم.

بعد ذلك - وفي الآية ٢٨ من سورة الحج - قال الله تعالى:
﴿لَيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

إنَّ الحج ليس مجرد عبادة فردية، وإنما إضافة الى ذلك هي
عبادة تتصل بالحياة وبتطوير الامم. فقد جعل الله سبحانه
ارض مكة منطقة حرة أعطاها حرمة كاملة، هو سَمَّاها البيت
الحرام الذي لا يحق للانسان فيه ان يعتدي على أي شيء، حتى
الحيوان والنبات، فلا يجوز - مثلاً - صيد الحيوانات البرية
والطيور في الحرم سواء كان الشخص مُحَرِّمًا أو مُحِلًّا، كما يحرم
على المُحَرِّم قطع الأشجار والنباتات والأعشاب في منطقة



الحرم. لذلك تجد أن كل شيء هناك آمن.

البيت الحرام، والمسجد الحرام، المشعر الحرام، ماذا يعني ذلك؟ انه يعني الحرية، بل أقصى انواع الحرية. فهناك يجوز للانسان أن يتحدث بكل صراحة، ولا يحق لأحد أن يعتدي على أحد.

وبالرغم من أن هذه الآيات الكريمة لم تطبق بالصورة الكاملة، إلا أن ما طُبّق منها حتى الان في المسجد الحرام افادت الامة الاسلامية فائدة كبيرة.

إنَّ الحج يضخُّ كل عام في الامة الاسلامية تياراً من الامل والايان والتحدي للمشاكل الى أبعد الحدود. وهذا التيار علينا ان نستزيد منه عبر تطهير أنفسنا، والذهاب الى الحج وقد أدينا كل الحقوق والواجبات التي علينا قبل الله والناس، وخصوصاً حقوق الارحام. وبذلك نزداد في الحج طهراً ونقاءً وإيماناً بإذن الله.

ثم إنَّ علينا ان نبرمج لحجنا، فخلال الايام التي يقضيها الحاج في ضيافة الرحمن عزَّ وجل، علينا ان نستفيد من تلك الساعات بأقصى قدر ممكن من الاستفادة بذكر الله عز وجل، وبتلاوة القرآن. ففي الحديث الشريف: «مَنْ حَتَمَ الْقُرْآنَ بِمَكَّةَ



لَمْ يَمُتْ حَتَّى يَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَيَرَى مَنْزِلَهُ مِنَ الْجَنَّةِ^١.
ثم الدعاء والتبتل لرب العزة، والدعاء لآخواننا المؤمنين،
ولذرياتنا، ولقضاء حوائجنا للدنيا والآخرة، انه سميع مجيب.



- ٢ -

محطة التقوى

﴿الْحُجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾^١.

هذه الآية الكريمة تختصر أحكام الحج وفلسفته، كما تمنح الحاج بصيرة نافذة عن كيفية الحج، وبماذا يمكن أن يعود به، وكيف يتحول الحج بالنسبة إليه إلى نقطة تغيير ذاته في حياته، ليكون من قبل الحج وبعده نمطين من الشخصية؛ الاول: شخصيته قبل الوقوف بعرفة، والثاني: شخصيته بعد الوقوف بعرفة.

فمن الناس من يستفيد من هذه النقطة الاساسية فيعود



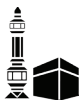
بزاد عظيم: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾، ومنهم من يقتصر على الاستفادة القليلة.

ولاريب إن أعمال ومواقف الحجّ كلّها فوائد تعود على الحاجّ، وفي الحديث المروي عنهم عليه السلام جاء: «أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ ذَنْباً مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَاتٍ ثُمَّ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ»^١.

بمعنى أن الانسان يجب أن يكون على يقين خالص بأن الله قد محا كل ذنوبه وخطاياها اذا وقف في عرفات؛ الموقف الذي هو بمثابة القمة في سلسلة أعمال الحجّ وأحكامه. فهو بحق ولادة جديدة للإنسان، حيث تتجدد روحه وإيمانه ونظرته الى حقائق الحياة وحقائق الآخرة.

ولكن نجد بعض من يعود من الحجّ، يعود الى ما كان عليه قبل ذلك، بسبب ما اعتاد عليه من سلوكيات غير صالحة، بالاضافة الى احتمال هذه الفريضة الربانية على غير محلها، والاخلاص الذي ينبغي أدائها فيها. فالفرق شاسع للغاية بين من لا يتزوّد من الحج بشيء، وبين من يتزوّد بالتقوى. وعلى كل حال فالجميع يسمى عائداً.

إن الهدف الأكبر من أداء فريضة الحج توضحه الآية



الكريمة بجلاء كامل. فهي بعد أن تشير الى أن الحجّ في أشهر معلومات، وهي شوال وذو القعدة وذو الحجة، تؤكد الآية مرة أخرى بأنّ من أحرم للحج، عليه الالتزام بمجموعة من التعاليم تنتهي الى الولادة الجديدة، التي هي الهدف من فريضة الحجّ. وهذه التعاليم هي:

* نبذ الرفث.

* نبذ الفسوق.

* نبذ الجدال خلال الحجّ.

١- ﴿فَلَا رَفَثَ﴾ فكل ما يتصل بالجنس والشهوة يجب أن يتهاوى، وأن يتعد الحاج عنه، حتى قال الفقهاء: منذ انعقاد الاحرام يجدر بالحاج ان يمتنع حتى عن أن يكون شاهداً في عقد الزواج. فوجوب التخلص، ولو لفترة محدودة، عن جاذبية الشهوات أمر لا بد من الالتزام به.

٢- ﴿وَلَا فُسُوقَ﴾ وللفسوق تفسيرات عديدة، ولكن التفسير الأشمل هو كل ما يُخرج الانسان عن جادة الصواب. أي ضرورة الالتزام بهجر الذنوب؛ الصغائر منها والكبائر. بمعنى أن في الحجّ برنامج عمل متكامل لتربية وتزكية الحاج بصورة مباشرة. فكل ذنب من الذنوب له عقاب مباشر،

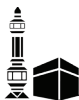


الحج ضيافة الله

وقد يصل بعض انواع العقاب الى بطلان الحج من الاساس، وذلك إذا تمادى الحاج في ارتكابها. هذا فضلاً عن مسألة قبول الله له أو عدم قبوله.

ويبدو أن النموذج الأشمل للفسوق في الحج هو التلبس - اعتقاداً وسلوكاً - بكل ما من شأنه التمييز الطبقي أو العرقي أو غير ذلك بين انسان وآخر. بمعنى أن الحج فريضة المساواة بين الناس أمام خالقهم، لا يتفاضل أحد على أحد، ولا يتفاخر أحد على أحد، والمحرمون جميعهم - من الرجال بالأخص - يُحرّمون بملابس ذات نوع وشكل وطريقة واحدة، ولا حق لأحد أن يتدع شيئاً من عنده إلا ما قرره الشريعة.

إنّ الحجّ فريضة العقيدة والعمل؛ الفريضة التي تقوم المعتقد والسلوك في آن واحد. وفي هذه الفريضة لا بد للإنسان من التأكّد قولاً وفعلاً بأنّ كرامته ومجده وشرفه وقيّمته لا تكون فيما يمتلك، أو الى أي شعب أو عشيرة ينتمي، أو في مستوى علاقته الاجتماعية أو في منصبه، أو في أي شيء من مشتقات هذه الامور الزوائل. بل إن كرامة المرء لها خصوصية ذاتية. إذ الانسان أكرم من الممتلكات والاقارب والعلاقات والمنصب.. ولنفترض أنه إذا كان يعيش في مكان مجرد، لا مال



له ولا إمكانات ولا علاقات.. فهل يعني أنه لا قيمة له؟!
الاسلام جاء ليعيد الناس الى هذه الحقيقة الأصلية، وقد
أكدت الآيات القرآنية الكثيرة بأن الشريف هو الانسان؛ وأن
المكرم هو الانسان وليس ما يحيط به. فشرف الدرّة بالدرّة،
وليس بالخرقة التي تلفّها.

٣- ﴿وَلَا جِدَالَ﴾ إِنَّ الانسان الذي يغفل عن حقيقة الوجود
وعن حقيقة نفسه تجده مستميتاً في الذبّ والدفاع عن نفسه،
﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جِدَلًا﴾^١ وهذه هي الإشكالية.

إذن؛ فالحاج يقصد بيت الله ليتطهّر؛ ليس فقط من
الذنوب، وإنما من تلك الجذور الممتدة في أعماقه، تلك الجذور
التي تتفرع عنها الذنوب. فالمذنب يذنب بشهواته المادية أو
بعصبياته وجدله ومفاخرته ومباهاته واستحقاره للآخرين.
جاء الحاج ليتطهّر منها في لحظات التجلي الربانية، اللحظات
التي يتعرف فيها الانسان الى حقيقة نفسه المجردة العاجزة،
فيفزاد معرفةً بربه. وصدق الحديث الشريف القائل: «مَنْ
عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ»^٢.

١- الكهف: ٥٤.

٢- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ٤، ص، ١٠٢.



الحج ضيافة الله

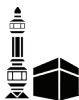
ولحظات التجليّ هذه تضرب في عمق الحاج الصادق والراغب الى الله تبارك وتعالى؛ فتراه يحنّ الى أداء الحجّ مرات ومرات. فقد أشرق نور الرب على قلبه، وأحسّ بالاطمئنان والسكينة واللذة الروحية التي لا لذة فوقها رغم الصعوبات والمتاعب الجسدية التي لاقاها أثناء أدائه مناسك الحجّ، فتراه مرة أخرى يبحث ويفتّش عن تلمّس تلك اللذة من جديد.

إنّ من كرم الله سبحانه وتعالى علينا أنه يرينا آياته إيماناً و يقيناً كما أراها لنبيه موسى بن عمران ﷺ فخرّ صعباً. والتفاوت يقترن بمستوى الايمان والمنزلة. والمقدار البسيط الذي يرينا الله تبارك وتعالى يدفعنا نحو التكامل والاتصال بمقام تلقي النور الأقدس.

وبعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾.

والخير الذي يمكن للانسان ان يفعله أثناء الحجّ بوجه خاص؛ الاخلاص لله سبحانه وتعالى، ووعي الاهداف الأصلية لأنواع المناسك والإتيان بها.

والتزوّد الذي يأمر الله تعالى به، هو التزوّد بالتقوى. والتقوى عبارة عن حالة نفسية لا تنمو بالمال، ولا بالدروس،



ولا بالمحاضرات، بل التقوى ملكة نفسية ينميها المرء من خلال تجارب عملية تترك في ذاته آثاراً ايجابية عميقة.

إنَّ القرآن الكريم خاطب الناس خطاباً مباشراً دعاهم الى التزوّد من التقوى اثناء ادائهم مناسك الحجّ، والمهم في الانسان الحاج أن يسعى الى الحصول على التقوى، مهما كانت درجة هذا الحصول والتزوّد. ومن يحصل على هذه الملكة النورانية، هو الذي يتلمس السعادة ويذهب الى الله عز وجلّ بقلب سليم.

وهنا تجدر الاشارة الى ان أمام الانسان رحلة شاقة ووعرة في حياته، لا يعلم مداها بأي حال من الاحوال، فقد تقصر وقد تطول، وهو يجهل موعد مواجهته لملك الموت المفاجئة. ولكن بين هذا وذاك كان الله تبارك وتعالى قد أطلعه كل الإطلاع على أنَّ الأمر المهم في حياته هو أن يبارس ارادته في التصدي لوساوس الشيطان الرجيم الذي لا ينفك عن محاصرته والتغريب به، حتى ولو كان على جبل عرفات.

فلمحة واحدة يرجع فيها الانسان الى نفسه، ليعلن فيها عزمه على التغيير والمسير نحو نور الله. فالرب تبارك وتعالى لا يطلب من المؤمن غير إشارة بسيطة ليقرب منه، ويفتح أمامه



الحج ضيافة الله

أبواب الرحمة والسعادة الأبدية. وما هذه المصائب والبلايا التي تواجه الانسان في عمره إلا صعقات لإيقاضه من غفلته وتنبهه عما هو فيه ليتوب ويعمل صالحاً فيما ترك.

ولا نبالغ ان قلنا: إِنَّ فريضة الحجّ انما هي محطة لاستراحة الإنسان من ذنوبه، ومركز مهم لإيقاف الدوامة الشيطانية الهوجاء التي تعصف به. فهي محطة رفيعة سامية يجدر بالإنسان أن يحترمها كي لا تفقد قيمتها بانشغاله بمسائل ثانوية وتافهة. إن قصد الهدف الاسمى من الحجّ بتجرّد، والتوجه الى لبّ المسألة، هو المرأة الناصعة التي ينعكس فيها قوله تعالى: ﴿وَأَتَّقُوا يَٰأُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾.

فليس كل انسان ينخرط في عداد من سباهم القرآن الكريم ﴿أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾ بل هي تسمية تصدق على الذين يستهدفون عمق القضايا والمفاهيم فحسب. أما اولئك الذين يقنعون بالظاهر من الامور، فحريّ بهم العيش على السطح، والإكتفاء من البحر بزبدته.

نسأل الله سبحانه أن يجمعنا وإياكم على الهدى، ويزيّنا بالتقوى، وان نتخذ من الحج مناسبة لولادة تاريخية جديدة.



- ٣ -

بوتقة الاخلاص

في كل عام، وعندما يقترب موسم الحج يستعد مئات
الالوف من المؤمنين الذين توافدوا من أقطار الارض الى
بيت الله الحرام؛ يستعدون لرحلة الحج العظيمة التي هي
بمثابة بوتقة تصهر الملايين من البشر بمختلف أجناسهم،
وجنسياتهم في وحدة توحيدية بالغة الصفاء والقيمة.

ايام مباركات

إِنَّ الْايامَ الْعَشْرَةَ الْاَوَّلِ مِنْ شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ، الَّتِي اِشَارَ
اليها الله تبارك وتعالى في قوله:

﴿وَالْفَجْرِ* وَلَيَالٍ عَشْرٍ* وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ*﴾^١.

وقوله سبحانه:

﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَتَمَّ مِيقَاتُ



رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ^١.

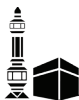
هذه الايام تعتبر من الايام المباركة العظيمة، لأن وفود الرحمان تستعد فيها للقيام بتلك الرحلة الالهية العظيمة. فلقد أذن مؤذن الرب تعالى ابراهيم الخليل عليه السلام في الناس بالحج، فاذا بقلوب الملايين تهوي الى الكعبة المباركة، والمسجد الحرام، والمشاعر المقدسة، وتتعلق بهذه الديار التي تتجلى فيها رحمة الله، وتستقطب نفوس المسلمين اينما كانوا.

ولذلك، فعلى الرغم من الصعوبات والاحطار التي كانت وما زالت تهدد الوافدين الى مكة المكرمة، وعلى الرغم من الاموال الهائلة التي لا بد لكل انسان مسلم أن ينفقها ليصل الى تلك الديار.. على الرغم من كل ذلك ترى المسلمين يعشقون الحج، ويبدلون الغالي والنفيس من أجل ادائه. وهذا دليل على أن هذه النفوس إنما تهوي إستجابة نداء ابراهيم عليه السلام: ﴿فَجَعَلْ أَقْدَةَ مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ^٢﴾.

ومنذ ذلك الزمن البعيد والى الآن؛ أي بعد حوالي خمسة

١- الاعراف: ١٤٢.

٢- ابراهيم: ٣٧.



آلاف عام أو أكثر مازال هذا البيت العتيق يستهوي الملايين من البشر، وكأنه مؤتمر الهي عظيم. فالذين يذهبون الى هذه الديار إنما هم ممثلون عن المسلمين؛ أي عن أكثر من مليار ومائتي مليون انسان مسلم منتشرين في بقاع الارض المختلفة، صهرتهم بوتقة التوحيد، وجعلتهم يحافظون على وحدتهم رغم أنهم يتحدثون بلغاتٍ شتى، ويعيشون في بيئات مختلفة، ويتفاعلون مع مؤثرات متفاوتة. فترى الواحد منهم يتمي الى جنسٍ من الممكن ان لا يكون الآخر قد سمع به، ومع كل ذلك نرى هذه الامة المنتمية الى جميع الانبياء ما تزال هي الامة الواحدة كما يقول تعالى:

﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾^١.

فالامة ما تزال بكامل عنفوانها وشبابها ونظارتها وحيويتها، وما يزال الحج هو بوتقة هذه الامة، والسبب الذي جعلها واحدة رغم كل الحواجز، لأنَّ الحج يصهر هذه النفوس انصهاراً عينيّاً واضحاً في تلك البوتقة الواحدة.

الله قريب منا ولكن

ان ربنا العزيز الرحمان الرحيم قريب منا، ولكننا نحن



الحج ضيافة الله

البعيدون عنه. فالله سبحانه وتعالى لا يُبحث عنه في القفار، أو في أعالي الجبال، أو في أعماق الفضاء.. فهو شاهد حيث يكون الانسان حاضراً، وهو قائم قيوم حي، يسمع ويرى، كما أكد على ذلك في قوله الكريم: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾^١، وقوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾^٢.

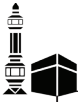
وهكذا فان الله جل وعلا قريب منا، ولكتنا نحن البعيدون عنه. كما يشير الى ذلك قوله عز من قائل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾^٣.

أي اننا بعيدون عن الله جل وعلا لسبب واحد، هو أننا محجوبون عنه بمجموعة كبيرة من الحواجز. فالشمس تشرق كل يوم وتملأ الخافقين، ولكن غرفتي التي أغلقت ابوابها، واسدلت ستائرهما بعيدة عن الشمس لأنها محجوبة عنها. وهكذا الحال بالنسبة الى علاقتنا بالله جل وعلا، فنحن بعيدون عنه، لأننا محجوبون عنه بالتوافه الدنيوية. فالدنيا هي أكبر حاجز بين الانسان وربه، كما يقول الحديث الشريف عن

١ - المجادلة: ١.

٢ - طه: ٤٦.

٣ - البقرة: ١٨٦.



الإمام الصادق عليه السلام: «حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ»^١.

والاسوء من ذلك أَنَّ الواحد منا يعيش الانانية، ويعيش السجن الذي وضع نفسه فيه حتى اذا ما خرج من هذا السجن دخل في رحاب الحقيقة. ولذلك جاء في الدعاء المعروف بدعاء ابي حمزة الثمالي:

«وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لِلرَّاجِينَ بِمَوْضِعِ إِجَابَةٍ، وَلِلْمَلْهُوفِينَ بِمَرَصِدِ إِغَاثَةٍ، وَأَنَّ فِي اللَّهْفِ إِلَى جُودِكَ وَالرِّضَا بِقَضَائِكَ عَوْضًا عَنْ مَنْعِ الْبَاخِلِينَ، وَمَنْدُوحَةً عَمَّا فِي أَيْدِي الْمُسْتَأَثِّرِينَ، وَأَنَّ الرَّاحِلَ إِلَيْكَ قَرِيبُ الْمَسَافَةِ، وَأَنَّكَ لَا تَحْجُبُ عَنْ خَلْقِكَ وَلَكِنْ تَحْجُبُهُمُ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ دُونَكَ»^٢.

ضرورة الإخلاص

فلنخلص العمل والنية، ولنحطّم الانداد والاصنام، فاذا بنا نجد انفسنا عند الله سبحانه وتعالى نناجيه ويناجينا، ونحدث معه ويتحدث معنا. فقد جاء في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «قَلْبُ الْمُؤْمِنِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ»^٣. أي إِنَّ هذا القلب يتقلب مع الله جل وعلا.

١- الخصال، ج ١، ص ٢٥.

٢- بحار الأنوار، ج ٩٥، ص ٨٣.

٣- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ٤، ص ٩٩.



الحج ضيافة الله

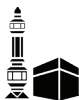
صحيح أنَّ عين الانسان ترى المظاهر المادية، ولكن علياً عليه السلام ينفذ ببصيرته من خلال هذه المظاهر الى رب المظاهر، ومن خلال الدلائل الى رب الدلائل؛ أي انه لا يرى المظهر، بل يرى ما وراءه. ولذلك اكد ﷺ على ان الخالق جل وعلا، انما يُرى من خلال البصائر والحقائق وذلك في قوله: «لَا تُدْرِكُهُ الْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الْعِيَانِ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ الْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ»^١.

وعلى هذا، لكي نصل الى الله جلت قدرته، ولكي نتحدث معه، ولكي نحبه ويحبنا، ونرضى عنه ويرضى عنا.. فإنَّ علينا أن نسقط كل الاصنام التي يقف في مقدمتها صنم الانانية. فكلنا من آدم، وآدم من تراب، ومادامت حبات التراب لا تختلف، فان البشر ايضاً لا يختلفون عن بعضهم إلا بالتقوى، كما يقول رب العزة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾^٢.

وعلى هذا، فان من الواجب علينا أن لا نفتخر بأصلنا ونسبنا. فالنسب لا يمكن ان ينفع الانسان من دون العمل

١ - نهج البلاغة [صحيحي الصالح]، الخطبة ١٧٩، ص ٢٥٨.

٢ - الحجرات: ١٣.



الصالح. فعلى سبيل المثال ان ابن شيخ المرسلين نوح عليه السلام لم تنفعه صلته القرية بهذا النبي، ولم تستطع ان تنجيه من الغرق، لانه لم يكن مؤمناً بالله تعالى كما يروي لنا ذلك القرآن الكريم في قوله: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ * قَالَ يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ^١.

وعلى هذا، يجب علينا ان نسقط هذا الحجب والحواجز، وننصهر في بوتقة الايمان. ولذلك نجد المسلمين في مكة المكرمة عند الطواف والمسعى، وفي عرفة والمشعر ومنى، وغيرها من المشاعر المقدسة، هم اقرب ما يكونون من الله جل وعلا، لانهم حطموا في تلك اللحظات جميع الحواجز. فتراهم جميعهم على اختلاف ألوانهم، ولغاتهم، ومراكزهم الاجتماعية يهتفون قائلين: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكُ، لَا شَرِيكَ لَكَ».

فالميزات التي تُميّز الانسان عن الآخر تسقط كلها في موسم الحج. فعلى سبيل المثال، فإنّ الملابس التي تُعتبر من الامور التي يتميَّز بها انسانٌ عن آخر، ترى في الحج أنّ جميع الرجال



الحج ضيافة الله

يرتدون لباساً واحداً متشابهاً، هو لباس الاحرام. فتتهاوى
مظاهر الترف والزينة، لأنها تعتبر من الامور المحرمة في
الاحرام.

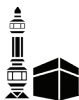
وهكذا ففي موسم الحج يشعر الانسان بالروحانية
والصفاء. فترى النفوس تلتهب ايماناً وتتوقد معرفة بالله
تقدست اسماءه، فكلمات الدعاء تنبع من أعماق الانسان،
وتختلف عما نعيشه في غير موسم الحج، حيث تحيط بنا الدنيا
وزخارفها.

فلنخرج من هذا السجن الذي حبسنا فيه انفسنا، لنشرق
على قلوبنا شمس الحقيقة، وحينئذ نقرب من الله جل وعلا،
ونتخلص من حالة البعد والاحتجاب عنه بالحواجز والحجب
الدنيوية.

في استقبال ايام الحج

٤٦

وبالاضافة الى ذلك فاننا كلما نقرب من الايام العشرة
الاولى من ذي الحجة الحرام، ونستقبل يوم العيد الذي هو من
الايام العظيمة عند الله، فان علينا ان نهيب انفسنا - إن لم نوفق
الى الحج - كما يهيبها الحجاج، ولنشاركهم في روحانيتهم،



وتوجهاتهم الانسانية، وان نهتم في ليالي تلك الايام المباركة
بقراءة القرآن والادعية واداء صلاة الليل واداء النوافل من
العبادات، والاهتمام بالتوجيهات الروحية التي من شأنها أن
تخرجنا من سجن هذه الدنيا. بهذا يمكننا أن نحظى ولو على
شيء من فضيلة الحج وكرامته، وأن ننهل من معين فوائده
الجمعة.



-ع-

موقف المعرفة

إنَّ المسافة بين الأرض والسماء يتصورها البعض مسافة لا تنتهي، في حين أن هذه المسافة نفسها لدى البعض الآخر لا تعدو أن تُقطع بأقصر زمن وأخف حمل. إذ أن هذا البعض يمتطي خلال رحلته مطية الاستغفار والتوبة دون حجابٍ واحدٍ من حجب الكبر والغرور والاثم.

فمن أيِّ الناس أنا؟ ومن أيِّ الناس أنت؟

وبكل اختصار أشير الى أن الله سبحانه وتعالى يرفع في لحظة عرفات القلم عن التدوين ليضعه في يد الانسان حتى يقرر ويقدر مصيره بنفسه، تماماً كما فعل سبحانه وتعالى ويفعل ذلك في ليلة الثالث والعشرين من شهر رمضان الكريم حيث ليلة القدر، فيختار المرء مسيره نحو اليمين أو الشمال. والفرق بين المناسبتين؛ أن مناسبة ليلة القدر تعم جميع الناس، بينما



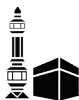
الحج ضيافة الله

لحظة عرفات تختص بشريحة معينة منهم ممن حضر المنسك الكريم عند وادي عرفات.. وطوبى لهم من حضور.

وعلى هذا الاساس يكون من الجدير القول بأن عزيمة الحاج الى أداء مناسك الحج، إنما تتأتى ضمن دعوة رسمية صادرة من قبل الله تبارك وتعالى موجهة إليه. بمعنى أنه سبحانه وتعالى ينظر بعين الرحمة والحكمة الى عبادته، فيختار منهم من يختار الى الوقوف بين يديه في تلك المواقف المقدسة، بينما تبقى تلك الفجاجة العظيمة تنتظر دورها عسى الله ربها يرحمها ويتعطف عليها حيث يأتي دورها وتشملها الدعوة الربانية.

ويستطيع الحاج أن يراجع ذكرياته الجميلة منذ أول خطوة خطاها لأداء المناسك؛ كيف تكونت لديه الفكرة؟ وكيف أحسَّ بالرغبة العارمة الى الحج؟ وكيف واجهته عقبات السفر فتجاوزها الواحدة بعد الاخرى حتى تشرف بالوصول الى الديار المقدسة وأدّى فريضته؟

ومن هذا المنطلق يجدر بالحاج أن يأخذ بعين الاعتبار هذه الدعوة الخاصة والمقدّسة، ويتقن بكل وعي وإخلاص وتوجه أداء مناسكه، ويعرف كل المعرفة كيفية الاستفادة من هذه



الضيافة، ويتعلم أصول اللقاء، إذ الداعي هو جبار السماوات والأرض، ربُّ الدنيا والاخرة ومالكُ كل شيء.

ليبدأ قاصد الحاج بالخطوة الاولى، وليتأكد بأن ارتداء ثياب الاحرام وخلع ملابسه العادية لا تقتصر على هذه العملية الظاهرية، بل هي مجرد رمز الى ضرورة إمطة الحُجُب الباطنية التي من شأنها الحيلولة دون رؤية الحقائق الملكوتية. ولعل في كل شرط من الشروط التي يجب أن تتوافر في ثياب الاحرام، يكمن رمز من رموز العرفان والزهد والتوجه الخالص الى البارئ سبحانه وتعالى. فالتجرد من الثياب العادية يرمز الى التجرد من الذاتية والأنانية، وكأنَّ المُحَرِّم يعلن عن أنه ليس ذلك الانسان السابق الغريق في أوحال المادة. وهذا التجرد يعني في الوقت ذاته الاعلان عن الدعاء والتضرع والاستعداد لتلقي الرحمة الإلهية.

ولقد رأيت بنفسي بعض الحجاج لا يكاد يجرؤ على لبس ثياب الاحرام أو أداء شعار التلبية شكاً في نفسه من أن يكون كاذباً في عمله أو مدّعا؛ وخوفاً من ربّه العزيز أن يبادره بالإعراض والجفاء تبعاً لذلك. ورأيت أعينهم تفيض من الدمع، وجلودهم تقشعرّ من الخوف في تلك اللحظة



العظيمة؛ لحظة الاحرام والتلبية.

الآن وقد عزمنا على الذهاب الى عرفات^١ ونستعد لطّي المسافة، لا بد لنا من أن نعرف قبل كل شيء أن الله تبارك وتعالى قد تفضل علينا قبل كل ذلك باختزال هذه المسافة، حتى لتكاد الفاصلة بين السماء والارض لتندم وتلاشى.

ولا بد ان يستحضر كل منا ان اول واجب يقع على عاتق الواقف بعرفات، هو واجب معرفة الله سبحانه ؛ معرفة قلبية تتصل بالنور، وتخرق الحجب، وتصل الى معدن العظمة والقدرة والملكوت.

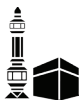
وثمة قضية أخرى ينبغي التوجه إليها، وهي أن معرفة المؤمنين من ضمن المسائل التي لا بد للواقف بعرفات أن يحوزها. فهناك تلتقي أرواح المؤمنين، وقد قال النبي الأعظم ﷺ: «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُّجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ»^٢. هناك أيضاً تكتشف الصديق الجدير من غيره، فهو سيكون صديقك في الدنيا والآخرة.

والأعظم من معرفة الصديق، معرفة الامام. إذ أن فلسفة

١ - هذا الحديث القاه سماحة المرجع المدرسي دام ظلّه في مكة المكرمة بتاريخ ٨ / ذو الحجة /

١٤١٨ هـ بحضور جمع من المؤمنين وهم مقبلون على الذهاب الى وادي عرفات.

٢ - [إعتقادات الإمامية [للصدوق]، ص ٤٨.



الحج وروحه وحقيقته تكمن في معرفة الامام.

ومن اراد ان يزداد معرفة بامامه، يتطلب منه ما يلي:

أولاً: أن يتحول القلب الى مركز ومهوى لحب الامام
وحب أهل البيت عليهم السلام وحب ما أحبوا وبغض ما أبغضوا.

ثانياً: مطالعة الأحاديث والأدعية المتواترة عن أئمة الهدى
المعصومين، فأرواحهم تتجلى تجلياً ناصعاً في هذه الأدعية
والأحاديث، ومن ذلك دعاء الإمامين الحسين والسجاد عليهم السلام
الخاص بيوم عرفة. وهذه المطالعة لا بد وأن تكون بروح
متفتحة وقلوب طاهرة ومنزهة عن الوسوس والشكوك
والزيف والاهتمام بالدنيا.

ثالثاً: الالتقاء والاستفادة من علماء وفقهاء أهل البيت
الربانيين الزاهدين الذين يمثلون بحق خطّ الانبياء والأئمة عليهم السلام،
فلقد جاء في الأثر: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ»^١، وأن: «عُلَمَاءُ
أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»^٢. فاذا التقى الحاج بالعالم الرباني
عليه أن يعرف أنه الوسيلة الوحيدة التي يمتلكها في عصر
الغيبة في سبيل الحصول على المعرفة والحقيقة.

١- الكافي، ج ١، ص ٣٢، عن الإمام الصادق عليه السلام.

٢- عوالي اللئالي العزبية في الأحاديث الدينية، ج ٤، ص ٧٧.



-٥-

تطلعات اجتماعية

من حِكم حج بيت الله الحرام، هذه التظاهرة الالمانية والمسيرة الالهية الكبرى، تحويل رؤية الانسان الى الدين من علاقة شخصية بينه وبين ربه الى نظام اجتماعي يسود كافة نواحي الحياة. وهي ايضاً الحكمة ذاتها المتوخاة من اقامة صلاة الجمعة والجماعة، واغلب الشعائر التي أمر الله تبارك وتعالى بتعظيمها، قائلاً: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾^١.

٥٥

الانغلاق مشكلة بشرية

ومن المعلوم أنَّ الانسان منغلق بطبعه على ذاته؛ وتحوّله من قوقعة الذات الى رحاب الحياة يعتبر عملية حضارية تحتاج الى الارادة والوعي، ومن دونها لا يستطيع الانسان الوصول الى

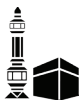


الحج ضيافة الله

مستوى الخروج من ذاته، والتحليق في سماء المجتمع الذي يعيش فيه. لأنَّ الانسان هو الكائن الحي الوحيد الذي يعيش ضمن دائرة المجتمع بسبب إحساسه بهذه الضرورة، ووعيه وارادته، وكلما تجاهل الانسان الوعي والارادة كلما ابتعد عن الحضارة والتقدم. ولأنَّ هذه هي الطبيعة الاولى لدى الانسان، فان التعاليم القرآنية، وتعاليم سائر الرسالات الاخرى من الممكن ان تنحرف لديه، وتتحول من تعاليم اجتماعية وسياسية واقتصادية الى مجرد مجموعة من القيم الفردية.

وهذه هي المشكلة التي عانت منها الامم السابقة. فهي قد حولت الدين الى تجربة فردية ومعاناة شخصية، وسلبت منه الجانب الاجتماعي والحضاري، مكثفة بالجوانب الشخصية. وقد ابتلي المسلمون ايضاً عبر التاريخ بهذه المشكلة، فهم بدورهم حولوا الدين الى مجرد علاقة شخصية. وقد كانت فكرة الخروج من اطار المسؤولية، والابتعاد عن مشاكل السياسة، السبب في المشاكل التي عانى وما يزال يعاني منها المسلمون.

وعلى هذا الاساس فلا بد ان نلتزم بالتشريعات الالهية التي من شأنها ان تغيّر من نظرتنا هذه الى الدين. فاذا اردنا ان نعبد ربنا، فإنَّ علينا أن لا نكتفي باداء هذه العبادة في زاوية



من زوايا البيت، بل لتتوجه الى المسجد. وقد حثتنا الاحاديث الشريفة على ضرورة إضفاء البعد الاجتماعي على عبادتنا ؛ فان كان ثواب الصلاة في البيت عشر حسنات، فان ثوابها في المسجد يرتفع ليصل الى مائة حسنة، وان الصلاة في مسجد تقام فيه صلاة الجمعة أكثر ثواباً عند الله من مسجد المحلة أو السوق.

العلاقات الاجتماعية هي الحل

ومن هذا المنطلق فإنَّ على المسلمين أن يقصدوا بيت الله الحرام من أقاصي الارض ليلتفوا حلول الكعبة التي جعلها الله تقდست اسماءه قياماً للناس، ليعبدوا الله جميعهم في موسم واحد، وليحضروا كلهم في مكة في اشهر الحج، الى درجة ان الشريعة قد اعتبرت هذا التجمع واجباً، فالذي لا يدرك يوم التاسع من ذي الحجة - مثلاً - ليتواجد في عرفات يكون كمن لا حج له.

وهكذا الحال بالنسبة الى سائر التعاليم الالهية، فعندما يأمرك القرآن الكريم بالتزام الصدق والوفاء وحسن الظن والتعاون وقول الكلمة الطيبة.. فإنَّ هذه الوصايا تقتضي منك أن تكون صادقاً مع الآخرين، وأن تكون وفياً بعهودك معهم، باراً



الحج ضيافة الله

بالعود التي أبرمتها معهم، لا تُنازهم باللقاب، ولا تُسيء الظن بهم. وهذه الوصايا والتعاليم موجهة إلينا كأشخاص، وكفئات، واحزاب، أو آية تجمعات اخرى. فعلينا أن نكون متحليين بالاخلاق الاسلامية على صعيد الاطار الاجتماعي. فكل تجمع منا يجب أن يكون صادقاً مع التجمع الآخر، وأن لا يتجسس بعضنا على البعض الآخر، ولا نتنازع باللقاب.

وعندما نقرأ سورة الحجرات، فاننا نرى ان الله سبحانه وتعالى عندما يريد ان يحدد العلاقة المثالية بين ابناء الامة الاسلامية، فانه يتحدث عن القتال الذي من الممكن ان يحدث بين طائفتين من المؤمنين، فيقول تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾^١.

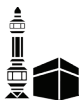
ثم يقول عز من قائل مركزاً على الجانب الاخلاقي: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِاللِّقَبِ بِيُسُ أَلَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾^٢. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾^٣.

وعلى هذا فإن العلاقة اذا ما صلحت بين طائفتين فانها

١- الحجرات: ٩.

٢- الحجرات: ١١.

٣- الحجرات: ١٢.



ستصلح ايضاً على صعيد الافراد، لأنَّ العلاقة بين الطوائف والتجمعات هي العلاقة الاساسية، وهي التي تخلق الحضارة إن كانت ايجابية، أو تركسنا في التخلف بل الى الجاهلية ان كانت سلبية.

وهكذا فانَّ من حِكم التجمعات الالمانية مثل الحج - كأكبر تجمع ايماني - وصلاة الجمعة والجماعة، الى اصغر عمل يقوم به المجموع؛ أن نفهم الدين في إطاره الجمعي.

ومن أبرز وأهم الادعية التي أوصي الانسان المسلم أن يدعو بها، قوله تعالى على لسان يوسف الصديق عليه السلام: ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^١، وفي آية اخرى يقول سبحانه: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^٢.

وعلى هذا الاساس فان التعاليم الالهية ينبغي ان توضع ضمن اطار بناء المجتمع المثالي، واذا ما ضمناً تحقيق هذا المجتمع فانَّ الفرد المثالي سيكون وجوده مضموناً ايضاً. فالفرد هو اللبنة الاولى في بناء كيان المجتمع، وهذا ما يقتضي من الانسان أن لا يعيش فرداً.

١- يوسف: ١٠١.

٢- التوبة: ١١٩.



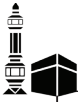
الحج مبعث عطاء

ويعتبر الإنفاق واحداً من التعاليم والممارسات الاسلامية التي تكرس روح الشعور بالمسؤولية الاجتماعية لدى الانسان المسلم. وفي هذا المجال يقول تعالى في سورة المنافقين:

﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفَضُوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾^١.

المعلوم ان من خصائص الحج والتجمعات الالمانية الاخرى، انها تجمعات العطاء. وإلا لماذا ينبغي على المسلمين - فيما يتعلق بالحج - ان يتوجهوا الى الصحراء ليدبحوا عشرات الألوف، بل مئات الألوف من الاضاحي؟ أليس من الافضل - في الظاهر - أن تُجمع هذه الاضحيات جميعاً لتُذبح في منطقة مسلمة تعاني من الجوع لتوزع فيها، ولماذا التأكيد على الذبح في منى؟

قد تكون الحكمة من وراء ذلك إغناء روح الانسان، وإظهار نعم الله تعالى عليه، وتحويل التجمع الالمانى الى تجمع عطاء لا أخذ. فالمسلمون يجب أن يتعودوا على غنى النفس،



ولذلك يقول عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^١
فهو يملك السماوات والارض وخزائنها، وييده مفاتيح
الغيب، وهو الذي يعطينا، ولكنه أراد أن يطهّرنا بالعطاء.
فعندما يبادر الانسان بالعطاء، فإنَّ قلبه لا يلبث أن يتطهّر.
وهذا ما يشير اليه القرآن الكريم في قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ
صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾^٢.

فعندما نعطي الصدقة فانها بمثابة تزكية لنا، وتنمية للتقوى
في نفوسنا، كما يقول سبحانه: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا
دِمَآؤَهَا وَلَكِنَّ يَنَالُهُ اتَّقَوَىٰ مِنْكُمْ﴾^٣.

فالتقوى تنمو من خلال الدماء التي تُسال في منى، فتكبر
الروح، وتتسامى النفس، وترتفع الهمة، وتشحد الارادة،
وتشتد العزيمة، وبالتالي فان الروح الايمانية ستسمو.

اما المنافقون فانهم لا يمتلكون الفهم لكي يدركوا عمق
وحكمة هذه الممارسات، فترى الواحد منهم يتصور أنَّ الذي
يعطي يُصاب بالخسارة. في حين أنَّ الذي يعطي لا بد أن يأخذ
أكثر مما أعطى، لأنَّ الله أعدَّ له أجراً عظيماً مضاعفاً في الدنيا
والآخرة. فهو يعطي ليحصل في المقابل على الطيبة في القلب،

١- التوبة: ١٠٣.

٢- الحج: ٣٧.



الحج ضيافة الله

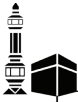
والطهارة في النفس، والتحرر من اسر المادة، والانطلاق في رحاب الحقيقة.

العزة في الوحدة والايان

ثم يقول عز وجل بشأن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١.

فهم يجهلون أن العزة الحقيقية تكمن في الوحدة والاتحاد، والانضواء تحت راية التوحيد. فان افتخر شخص على آخر بانه اعز منه، فان هذا الشخص لا يريد العزة في الحقيقة، بل يريد الذلة من حيث لا يشعر، لأن التفاهر سوف يدفعه الى الاختلاف، والاختلاف ذل.

ولذلك فان المنافقين كانوا يطلبون الاختلاف، في حين ان رسول الله ﷺ كان يستهدف الوحدة. وهذه الوحدة استطاعت تلك القبائل المتناحرة في الجزيرة العربية ان تكون أكبر حضارة في التاريخ. وبالتنا نفهم منطق التاريخ، ونعود الى ابسط الحقائق في القرآن الكريم وتاريخ امتنا، لنذكر مخاطر هذه الاختلافات والنكرات والطائفيات والقوميات



والشعوبيات التي تجعلنا نسقط في مستنقع الذلة والصغار.
ان العزة الحقيقية في الوحدة والايان والتمسك بحبل
الله، كما يقول عز من قائل: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

بعد ذلك يذكرنا ربنا جل وعلا بجملة وصايا تربوية
واخلاقية، قائلاً: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ
وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾^١. أي لا تهبطوا الى الارض، وتركوا الى الاموال
والاولاد، بل ارتفعوا الى مستوى ذكر الله عز وجل، لأن من
يفعل ذلك فهو الخاسر الاكبر.

ثم يقول ربنا تعالى: ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ
أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ
فَأَصَدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾* وَلَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا
جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾^٢.

فعندما ينظر الانسان الى ملك الموت واقفاً على رأسه
ومشغلاً في نزع روحه، ثم ينظر نظرة اخرى الى امواله
وممتلكاته وزهبه وفضته.. فحينئذ تغمر الحسرة وجوده،

١- المنافقون: ٩.

٢- المنافقون: ١٠-١١.



الحج ضيافة الله

ويطلب من الله تعالى بإلحاح أن يمهلهم. ولكن الأجل إذا حل،
فان كل شيء ينتهي.



-1-

وسيلة التعارف

كثيراً ما نتساءل: ما هي الحكمة من اداء فريضة الحج؟
للإجابة على هذا السؤال نقول: إنَّ هناك حكماً عديدة
تكمُن وراء حج بيت الله الحرام، وهذه الحُكَم يبيِّنُها الله جل
وعلا في القرآن في أكثر من آية وسورة، كقوله عز من قائل في
سورة الحج: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ
ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا
اَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ
فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ * ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا
نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ۝١﴾.

فالحج هو معراج روحي للانسان، كما هو الحال بالنسبة
الى الصلاة. فقد جاء في الحديث الشريف: «الطَّوَّافُ بِالْبَيْتِ



صَلَاة»^١.

والحج هو تذويب للفوارق بجميع انواعها، وإثارة وتأجيج لمشاعر الوحدة الاسلامية القائمة على اساس المبادئ السامية، وهو ايضاً حركة اقتصادية واسعة، ومؤتمر حضاري اسلامي عظيم.. كل ذلك وغيره يمثل حِكْماً تدفع الانسان نحو الحج.

حكمة التعارف في الحج

وهنا سوف اركز حديثي على حكمة اساسية من حِكَم الحج، قد تكون خافية على الكثير منا، ألا وهي حكمة التعارف الذي جعله الله سبحانه وتعالى هدفاً وغاية لخلق البشرية، وذلك في قوله سبحانه:

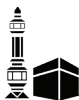
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾^٢.

٦٦

والتعارف، الذي يعني تعرّف الناس على بعضهم البعض، يمثل أساس حضارة الانسان فوق هذا الكوكب. ونحن نعلم أنّ كلمة (الحضارة) مشتقة من الحضور، والحضور على

١ - عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ٢، ص ١٦٧.

٢ - الحجرات: ١٣.



نوعين؛ حضور جسدٍ مع جسدٍ آخر، وحضور الروح عند الروح، والارادة لدى الارادة الاخرى. وبتعبير آخر؛ هو حضور معنوي يفرز الحضارة والتقدم والتطور لدى الانسان، لأنَّ الانسان الذي يكون له حضور الى جنب أخيه الانسان روحياً ومعنوياً، ويعترف منذ البدء بوجوده وحقوقه، فان هذا الشعور هو الذي يجعل الفردين الحاضرين عند بعضهما يتعاونان. من المعلوم أنَّ التعاون سوف ينتهي بالتالي الى التقدم والتكامل.

الحضور المعنوي هو الاساس

ولذلك فان الحضارة المستنبطة من فكرة الحضور والشهود، انما تنفع اذا كانت تعني الحضور المعنوي ولم تكتف بالحضور المادي. فكلما كان حضور الانسان عند الآخرين اكثر، فان حضارتهم سوف تكون أسرع نمواً وأكثر نضجاً، لأنَّ الانسان الذي يتعاون مع انسان آخر في جوانب معينة فان الحضارة عندهما ستكون محدودة بحدود تعاونهم مع بعض. ولذلك فاذا كان هناك انسانان مفترقان من الناحية المكانية، كأن يكون احدهما في الشرق والآخر في الغرب، وساد بينهما التعاون من



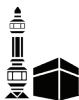
الحج ضيافة الله

جميع جوانبه، فانهما سوف يستطيعان افراز الحضارة رغم انها ليسا حاضرين عند بعضهما جسدياً.

ولذلك فان القرآن الكريم يستعمل بدقة مصطلح (التعارف) بدلاً من الحضارة، ذلك لأن معرفة البعض بالبعض الآخر، والوعي الحضاري المتبادل، وادراك الانسان أن عليه أن يتعاون مع الآخرين.. فان كل ذلك هو بداية انطلاق الحضارة من كل موقع.

ومما لا شك فيه ان هذا التعارف يتجسد كأحسن ما يكون في حج بيت الله الحرام، لأن نخبة من ابناء الأمة الاسلامية من كافة الاقطار والطبقات سوف يتوافدون على منطقة واحدة، ويجردون انفسهم عن الفوارق؛ ومن ضمن مظاهر هذه الفوارق الثياب، والجلد، والتفاخر بالآباء، والعمل، واستخدام الوسائل الترفيهية.. ولكن هذه الفوارق تذوب جميعها اثناء موسم الحج، كما يقول تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾^١.

فالجدال الذي يفرق بين الانسان واخيه الانسان محرم،



وكذلك الفسوق والرفث، وكل ما من شأنه أن يميّز انساناً عن انسان آخر.

وهكذا فإنّ الحج هو البوتقة الواحدة التي تذوّب جميع الفروق والحدود والحواجز المصطنعة بين أبناء البشر. وقمة هذا الذوبان، هو التعارف. ونحن المسلمين بحاجة ماسة الى هذه الحكمة سواء عبر فريضة الحج، أو الوسائل الاخرى.

اهمية التعارف في توثيق العلاقات

ومن اجل ان نبين اهمية التعارف في توثيق العلاقات الاجتماعية والانسانية نقول: لنفرض انه قد قيل لك إنّ لك اخوانا مسلمين يعيشون في إحدى الجزر النائية تعرضوا لزلزال عنيف وقُتلوا نتيجة لهذا الزلزال، فإنّ هذا الخبر من الممكن أن لا يهزك، ولا يثير مشاعرك إلّا لفترة موقته. أما لو أخبرت ان زميلاً لك في الدراسة قد كُسرت رجله، ورقد في المستشفى، فانك ربما تتأثر اكثر. والسبب في ذلك انك تعرف زميلك هذا، وهو يعيش في وعيك، لأنّ معرفتك به، وذكرياتك معه هي التي تدفعك الى التأثر والتألم.

واذا ما افترضنا انك قد ذهبت الى الحج، وفي اثناء ادائك لمراسم هذه الفريضة تعرفت بشكل أو بآخر على اهالي هذه



الحج ضيافة الله

الجزيرة، وتحدثت معهم، فحينئذ سيختلف وقع الخبر السابق بالنسبة اليك، فتبادر الى مشاركتهم الحزن والاسى.

هل نحن في مستوى التعارف؟

وللاسف فان المسلمين يعيشون اليوم حالة انفصام عن بعضهم. فلا يعرف بعضهم البعض الآخر، إلا بقدر معرفتهم بالاخبار العامة.

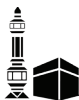
واذا ما أردنا أن نطرح هذه المشكلة في أفق أوسع، فلا بد أن نقول: إن مشكلة العالم الثالث الذي ننتمي اليه، هي مشكلة تخلفنا في مجال التطور العلمي. في حين ان الاسلام جعل طلب العلم فريضة على كل انسان مسلم، والنبى ﷺ يحثنا على طلب العلم قائلاً: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، أَلَا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ بُغَاةَ الْعِلْمِ»^١ و «اطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ»^٢، والامام الصادق عليه السلام يشدد على اصحابه في طلب العلم قائلاً: «لَيْتَ السَّيِّئَاتِ عَلَى رُءُوسِ أَصْحَابِي حَتَّى يَتَفَقَّهُوا فِي الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ»^٣.

إن هذا العلم الذي جعله الله عز وجل فريضة، وأمرنا أن نبحث عنه، هو مشكلتنا اليوم. في حين أن الغربيين لا يعانون

١- الكافي، ج ١، ص ٣٠.

٢- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ٤، ص ٧٠.

٣- المحاسن، ج ١، ص ٢٢٩.



من اية مشكلة في هذا المجال. فعلى سبيل المثال، فان رئيس قسم الشرق الاوسط في مكتبة الكونغرس الاميركية صرح ذات مرة ان هذه المكتبة مشتركة في (٤١) الف نشرة دورية تتحدث كلها عن الشرق الاوسط، وفي الولايات المتحدة الاميركية هناك المئات من بنوك المعلومات التي تزودنا بالمعلومات عن كل شيء؛ عن حياتنا، وعن طبيعة اقتصادنا، ومسار سياستنا، وتحركاتنا... وقد ربطوا الآن بنوك المعلومات في اوربا بنظيراتها في اميركا، وهذه المعلومات تُخزن، لتتم الاستفادة منها، ولذلك فانهم استطاعوا أن يستعمرونا، ويكيدوا لنا، ويمكروا بنا.

ضرورة استقاء المعلومات

إنَّ من جملة واجبات الانسان المسلم اليوم، والعالم الاسلامي يتسع ومشاكله تزداد، معرفة اخوانه المسلمين. فالمعلومات يجب ان تنتشر الآن بين المسلمين، لأنَّ هذه المعلومات هي التي تمثل سلاح الانسان المستضعف ضد المستكبر. فينبغي - اذن - على كل مستضعف ان يمتلك المعلومات الكافية، ولذلك يؤكد النبي ﷺ على طلب العلم، وقد جعله فريضة

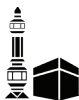


الحج ضيافة الله

على كل انسان مسلم دون استثناء، ولم يقصرها على الفقهاء أو على نخبة معينة اخرى من الامة.

ونحن - للأسف الشديد - لا نعرف اين يعيش اخواننا المسلمون، وكيف يعيشون، وماذا يجري على شعوبنا، وماهي اساليب الاستكبار العالمي ازاءهم، وماهي المؤامرات والاساليب التي يستخدمونها في الخداع والتضليل، والدسائس التي يحكونها ضدنا... كل ذلك نجهله، فكيف نتوقع أن نقاومهم، ونتحرك نحو الوحدة الاسلامية؟!

ولذلك فاني اوصي المسلمين جميعاً ان يخصّصوا جزءاً هاماً من اوقاتهم، للتعرف على اخوانهم في العالم من خلال الجرائد والمجلات، والاتصالات الشخصية عبر السياحة والسفر. وموسم الحج خير فرصة لذلك. لذا يجدر بالمسلم عندما يذهب الى الحج، أن لا يكون همّه التفتيش عن الامتعة والبضائع الجديدة، بل يتعيّن عليه أن يحاول جاهداً اقامة جسور العلاقات مع اخوانه مهما كانت انتماءاتهم، وأن يتعرف على احوالهم وافكارهم وتجاربيهم في الحياة. فليس من الهين أن يجتمع مليون انسان في مكان واحد يمثلون مجموعة مختارة من صفوفه المؤمنين في جميع ارجاء العالم الاسلامي.



﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^١.

ففي الطريق الى الديار المقدسة يعاني هؤلاء الكثير من المشاكل والصعوبات، ومع ذلك فانهم يتوجهون لاداء فريضة الحج برحابة صدر ورضى، لأن تلك الصعوبات والمشاكل تعمل على امتصاص سلبياتهم، وتقلل من التصاقهم بالمادة، وتبلور شخصياتهم، وتلغي الفوارق بينهم، وتزودهم بالنقاء الروحي، فيتجهون - بالتالي - الى الله جل وعلا وحده.

ولو أنَّ هذا العدد الهائل من المسلمين اتصلوا ببعضهم، واستقى بعضهم من البعض الآخر المعلومات والخبرات، ثم عادوا الى بلادهم محمّلين بهذه المعلومات القيمة، فكم ستكون هذه المعلومات ذات آثار ايجابية بناءة على مستقبل البلدان الاسلامية. لأنَّ هؤلاء الحجاج عندما يعودون الى بلدانهم سوف يشرحون لاخوانهم هناك المعلومات التي حصلوا عليها من اخوانهم المسلمين في مختلف انحاء العالم، الامر الذي سيؤدي الى ان يتعرّف المسلمون على بعضهم البعض، وبالتالي فان الشعور بوحدة المصير والهدف سيسود بينهم.



الشعور السائد في الحج

فانك عندما تلتقي بالحاج هناك، فانك سوف لا تشعر انك قادم من آسيا وهو من افريقيا مثلاً، وانك أبيض وهو أسود.. بل يسودك الاحساس بانكما حاجان تلتقيان بعيداً عن جميع الفوارق والحواجز. وعلى الحجاج ان يستغلوا هذه الحالة المعنوية التي تسودهم في الحج، لكي يلتقوا بسائر اخوانهم المسلمين، ويتعرفوا على ما يعانونه من مشاكل في بلدانهم، وليشروا لهم - هم بدورهم - أوضاعهم، ومشاكلهم.. فلا بد من أن يفتح الانسان المؤمن على أخيه المؤمن ليتعاونوا معاً، من اجل حل مشاكلهما.

ان الانسان المسلم الذي يأتي من اقصى الارض، وذلك الذي يعيش في مكّة، هما سواء في هذا البيت الذي جعله الله لجميع المسلمين دون فرق، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ﴾^١.



من منافع الحج

ثم يقول عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ * وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ * وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَائِسَ الْفَقِيرِ * ١.

وهذه المنافع التي يشير إليها الله تقدست أسماؤه، لا تقتصر بالتأكيد على الذبائح في منى، بل تشمل أيضاً منافع المسلمين ومصالحهم، لانه تعالى يقول: ﴿لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾.

ومن المعلوم ان كلمة «الشهادة» تختلف عن كلمة العلم والمعرفة، لأنَّ الشهادة هي وعي عميق. فعندما نقول: اشهد ان لا اله الا الله. فان هذا يعني انك قد وصلت في علمك الى مرحلة الشهادة، والعلم الحضورى - إن صح التعبير -.

ثم يضيف سبحانه، مشيراً الى منافع وفوائد اخرى ترتجى



من وراء الحج: ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ
مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَلْبَاسَ
الْفَقِيرِ* ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ
الْعَتِيقِ﴾^١.

فالحج يعمل على تطهير نفوس المسلمين من الادران
والنفايات والرواسب التي علقّت بهم، لكي يصلوا الى مرحلة
النقاء والصفاء والطهارة والتركية، وشكر الله تعالى على رزقه
اياهم وتوفيره النعم لهم، ولكي يدفعهم الحج الى الرفق
بالانسان الفقير، وتقديم العون والمساعدة له.. لكي تسود
الوحدة والانسجام بين الشعوب والمجتمعات الاسلامية،
ويحدث التعارف بينهم ويسهموا في بناء حضارتهم الاسلامية.



-٧-

فرصة التغيير

لو سألتَ عن السبب الحقيقي وراء كون عرفات مظهراً وتجلياً كاملاً للرحمة الالهية، لأجبتك وبكل صراحة: بأنني عاجز عن فلسفة ذلك، ولا يسعني سوى القول بأن الله سبحانه وتعالى، الذي جعل الشمس محوراً ومركزاً لمنظومتنا الشمسية ولهذا النور العظيم، هو الذي جعل رحمته العظمى هنا في عرفات، وفي لحظات معينة من السنة.

ومن تجليات الرحمة الالهية أن ربّ العزة يخاطب عبده التائبين من دون واسطة: «قَدْ غُفِرَ لَكَ، وَطَهِّرْتَ مِنَ الدَّنَسِ، فَاسْتَقْبِلْ وَاسْتَأْنِفِ الْعَمَلَ»^١. وهو نفسه الذي يأمر الملائكة بالترحيب بوفده. هذه الرحمة التي لو عرف الانسان قيمة أبعادها، لتأكد له بأنه لو أعطى كل شيء من أجلها لم يكن خاسراً.

١ - بحار الانوار، ج ٩٦، ص ٢٦٢.



الحج ضيافة الله

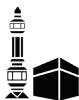
فما أحلى هذه العشية، وما أروع الاجتماع تحت ظل الرحمة
الالهية.

خلاصة العمر

العمر كله فرصة كما هو معلوم، وخلاصة العمر كله
تتجسد في لحظات عرفات القصيرة. فعرفات يقف خلفها
التقدير الالهي للإنسان، والتقدير هذا لا يكون إلا بعد أن
يقرر الانسان مصيره. اذاً فالتقدير الالهي ما هو إلا إنعكاس
لقرار الإنسان، وما أروع أن يكون القرار قراراً تتجلى فيه صور
التوبة والعودة الى خط الاسلام الصحيح، لاسيما وأن الحاج
في عرفات يجهل مدى استمرار العمر به، حيث لا يدري كم
سوف يعيش، وهل سيكون من نصيبه أن يحج في السنة القابلة.
فما أحراه أن يغلّق على نفسه كتاب الذنوب والعصيان، ويفتح
في مقابل ذلك كتاب الإيمان والاحسان والاستغفار.

فلحظات عرفات هي لحظات الدعاء والمسألة الى الله
سبحانه وتعالى، ففي خلاها يكون كلام العبد مسموعاً من
قبل الرب العظيم، وذلك بعد أن يثبت العبد حسن نيّته
وصفاء سريرته وسلامة قلبه.

وحينما نوفق أن نكون ضيوفاً على الرحمن في عرفات،



فلتأكد بأن الله هو الأرحم وهو الأكرم، وفي مقابل ذلك لنختزل في أذهاننا اسوداد وجوهنا وفراغ ايدينا، وأننا لم نأت بعمل صالح، وأننا لا نفتخر بمجيئنا الى هنا أو بأداء مناسكنا، وانما المسألة اننا دُعينا من قبل الرب العظيم ووفّقنا الى التلبية والحضور، والله السميع العليم الذي يشهد على وقوفنا في هذا الوادي المقدس أهلّ للمنّ، وأهلّ لأن ينظر إلينا نظرة واحدة تحول حالنا الى أحسن الحال. فالله هو القائل لعباده: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾^١. وهو القائل أيضاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^٢.

وقد روي أن سائلاً سأل رسول الله ﷺ قائلاً: «أَقْرَبُ رَبُّنَا فَنَنَاجِيهِ، أَمْ بَعِيدٌ فَنُنَادِيهِ» فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^٣. فالله قريب الى عباده. ولقد جاء في المأثور من الدعاء: «يَا مَنْ يَسْمَعُ أُنِينَ الْوَاهِنِينَ»^٤، بمعنى أن الخالق العظيم، ذا الكبرياء والجبروت، أقرب الى ذلك الإنسان الواهن الذي يغفل عنه الجميع. فالله هو الأقرب الى الانسان من حبل الوريد فيسمع أُنينه، وهو

١- غافر: ٦٠.

٢- البقرة: ١٨٦.

٣- عوالي اللئالي العزيزية في الأحاديث الدينية، ج ٢، ص ٨٢.

٤- بحار الأنوار، ج ٩١، ص ٣٩٢.



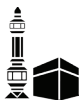
صاحب الضيافة الكبرى على مر العمر والتاريخ.

فلندعو الله تبارك وتعالى بالأدعية الصالحة والمناسبة لمقام الحج - وعرفات على وجه الخصوص - لاسيما دعاء عرفة للامام الحسين سيد الشهداء عليه السلام، ولتذكّر وقوفه وباقي أئمة أهل البيت عليهم السلام في هذه الارض ودموعهم تجري تضرعاً الى الله تعالى. نستذكر تلكم اللحظات متأكدين بأنهم يؤمنون على دعوات شيعتهم، وهذا بحق هو النعمة الكبرى والفوز العظيم.

ولادة جديدة

ثمة امور وتوجهات ينبغي أن نوليها الأهمية الكبيرة، لننتهي الى النتيجة المطلوبة من اداء مناسك الحج وبالذات الوقوف في عرفات؛ ومنها:

أولاً: أن نوصل ونرسخ الاعتقاد بأن الله سبحانه وتعالى قد جعل هذا اليوم وهذه الساعات المحور الزمني لحركة الانسان في المستقبل القريب والبعيد، والى ذلك يشير حديث الامام الصادق عليه السلام الذي قال فيه: «انَّ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ ذَنْباً مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَاتٍ ثُمَّ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَغْفِرْ لَهُ»^١. هل تعرف - يا أخي الحاج



الواقف في عرفات - أن اليأس من روح الله عنوان الكفر به؟
فلا ينبغي لأحد منا أن يكون في قلبه شيء من الشكّ برحمة الله
وغفرانه وتوبته على عباده، ولو جزء من المليون، فالوقوف في
عرفات إنما هو ولادة جديدة للانسان في تقدير الاله الجبار،
والشك في ذلك هو بمثابة الاعتراض على إرادة الله جل
جلاله.

ثانياً: أن نتوجه الى محتويات ومفاهيم الأدعية التي نقرأها
في هذه الايام توجهاً واعياً يتناسب ومستوى المضامين
التي تحتوي عليها، ويتناسب مع ما هو مطلوب من طموح
وهدف، وهو الرحمة والغفران الذي ينتهي بالمرء الى تحقق
ولادته الجديدة.

ثالثاً: أن نفكر ونطمح الى إحراز الباقيات الصالحات،
وأعظمها الذرية الصالحة. فأن ينشئ الانسان مدرسة أو
مسجداً أو مشفى أو معملاً يوقفه لخدمة المسلمين، فذاك أمر
عظيم، ولكن الأعظم منه أن يربي الوالد والوالدة أطفالهما
وفق النهج الديني، ويحصنهم ضد الوسوس الشيطانية
والانحرافات الفكرية والعملية.

فما هذه البرامج الفاسدة والمفسدة والتربية غير الاخلاقية



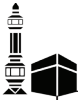
الحج ضيافة الله

التي تُبث عبر أجهزة التلفاز والقنوات القضائية إلا ذئاب تحاصر براعمنا وشبابنا من كل صوب وجهة. وإذا لم تتم برمجة التربية بشكل واعٍ وعلمي تفوق ما يقابلها من برامج الانحراف، فإن الجيل الجديد سيظل تحت مطرقة الشيطان حتى آخر رmq لديه.

ولقد سعدتُ - الى حدّ التعجب - حينما رأيت في هذا الموسم^١ مجاميع الشباب والاشبال وهم يؤدون مناسك الحجّ بكل براءة ونزاهة ووعي. وحينما سألتهم فيما إذا كانوا سيحجّون في السنة المقبلة، فأعربوا عن رغبتهم الأكيدة في الوفود الى بيت الله الحرام. ولعل تعميق هذه الروح المؤمنة لدى جيلنا الجديد هو ما يجسّد بحقّ الحصن الحصين ضد الانحراف والتيه في صحاري الجاهلية القاحلة.

ولكن حينما تقع الفرقة بين الآباء والأمهات وبين أولادهم سيكون المجتمع كله في معرض الانحلال، وسيدفع الجميع الثمن غالباً. وهذا ما يدعونا الى التعامل مع هذه القضية تعاملًا واعياً.

روي أنه جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن



ها هنا غلاماً قد احتضر، يقال له: قل لا إله إلا الله، فلا يستطيع أن يقولها.

قال النبي ﷺ: «أليس قد كان يقولها في حياته»؟ قالوا: بلى.

قال: «فما منعه منها عند موته»؟ قال الراوي: فنهض رسول الله ﷺ ونهضنا معه حتى أتى الغلام، فقال: «يا غلام، قل: لا إله إلا الله». قال: لا أستطيع أن أقولها.

قال النبي ﷺ: «ولم»؟

قال: لعقوق والدتي.

قال: «أحيّة هي»؟

قال: نعم.

قال رسول الله ﷺ: «أرسلوا إليها». فأرسلوا إليها، فجاءت.

فقال لها رسول الله ﷺ: «إبنك هو»؟

قالت: نعم.

قال: «أرأيت لو أنّ ناراً أُجِّجت فقليل لك: إن لم تشفعي له قذفناه في هذه النار». قالت: إذا كنتُ أشفع له.



قال: «فأشهدني الله وأشهدينا معك بأنك قد رضيت».

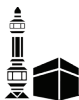
قالت: قد رضيت عن ابني.

فقال النبي ﷺ: «يا غلام، قل: لا إله إلا الله». فقال: لا إله إلا الله.

فقال رسول الله ﷺ: «الحمد لله الذي أنقذه من النار»^١.

أيها الاخوة والاخوات في الله؛ نحن وإياكم محكومون بالموت والفناء، ولكن الذي يبقى لنا وبقى له هو ما نبذله من جهود في إطار بث الوعي وتكريس الأخلاق الحميدة على صعيد الحركة الاجتماعية والتاريخية. وما أروع أن تكون هذه الجهود منصبة في إطار توعيه الجيل القادم، الذي ينبغي أن يكون الحامل للواء الصلاح والمعروف والنهضة.

ومن طريف ما يذكر في هذا المجال أن والده الشيخ مرتضى الأنصاري حينما أخبرت بتصدي ولدها لأمر المرجعية العليا، لم تظهر أي تعجب لذلك. وحينما سألت عن عدم تعجبها، قالت: أنني ما أرضعت ابني إلا وكنت على طهارة. فيا أيتها الاخت المؤمنة؛ ليكن تفكيرك منصباً على أنك ستقدمين جيلاً الى المجتمع، وليكن كل اهتمامك مختصاً



بتعلم اصول التربية الصحيحة المقامة على الاسس الاخلاقية الواعية، دون ما نرى من بعض الأمهات اللاتي تقتصر حياتهن على تهيئة الطعام وما أشبه ذلك من الأعمال التي لا تسدّ إلّا جانباً صغيراً من شؤون الأطفال والعائلة. ففي ذلك إهانة كبرى توجهها الأم لنفسها من حيث تعلم أو لا تعلم، فضلاً عن الخطر الكبير الذي يحيق بالاولاد إذا ما اقتصرت الأم على ذلك.

ولقد نرى أو نسمع عن أمهات تشاغل أولادها الصغار بعرض أفلام الصور المتحركة أو أشرطة الأغاني والموسيقى، فيما هي تنجز طهي الطعام.. وهذا هو عين الموبقة، لانه يقود الاولاد الى طريق الانحراف عبر مشاهدة الكثير من المفسد التي تحويها الافلام الاجنبية.

نحن هنا في عرفات يجب أن نرسم صورة واضحة وطريقاً مستقيماً لحياتنا في الدنيا والآخرة، والى ذلك يقول رب العزة: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾^١. واعداد الجيل وفق الاصول القرآنية هو عين التقوى، وتبرئة الذمة، وأداء الواجب السماوي.



الحج ضيافة الله

رابعاً: أن نلحّ على الله تعالى في دعواتنا على ما ألحّ عليه
الامام الحسين عليه السلام، وهو عتق رقابنا من النار. ولنقرأ الدعاء
القرآني الذي ورد استحباب قراءته في المشعر الحرام وهو:
﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً - الرِّغْبَةُ فِي الْحَيَاةِ الطَّيِّبَةِ مِنْ جَمِيعِ
الْجِهَاتِ - وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^١.

ويصف الامام عليه السلام العتق من النار بقوله الشريف: «اللَّهُمَّ
حَاجَتِي الَّتِي إِنْ أُعْطِيتْهَا لَمْ يَصُرْ لِي مَا مَنَعْتَنِي، وَإِنْ مَنَعْتَنِيهَا لَمْ
يَنْفَعْنِي مَا أُعْطِيتَنِي: أَسْأَلُكَ خَلَاصَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ»^٢.

فهذه آيات الله تبارك وتعالى تحيط بنا من كل جانب، ومن
ينساها أو يتناساها سوف يتعرض الى إغراض الله عنه ونسيانه
له. وهذه عرفات المقدسة أماننا لتتخذها موقع تذكّر لآيات
الله، وهذه السماء مفتحة الأبواب، وهذه ملائكة الله تبشر
المؤمنين الصادقين بالتوبة والرحمة والغفران. فلا تفوتنا لحظة
التغيير هذه، فانها فرصة قد لا تعود ابداً.

١ - البقرة: ٢٠١.

٢ - الكافي، ج ٤، ص ٤٦٤.



-٨-

علاج مشاكل الأمة

ترى هل لهذا التمزق الذي تعيشه الامة الاسلامية من
علاج؟

واين القرآن وبصائره الرشيدة من هذا الواقع المرير الذي
يعيشه ابناء القرآن، وتعيشه تلك الامة التي صنعها الوحي،
وصاغها الرسول ﷺ، ورعاها الائمة الهداة ﷺ؟

واذا كانت هذه الأمة هي خير أمة أخرجت للناس، فهل
من الخير أن يتقاتل ابناءؤها ويتمزقوا؟

اين نحن من الأمة القرآنية

من الواضح إن الخير يعني السلام والامن والنمو
الاقتصادي والديني، أمّا التقاتل والفقر والمسكنة والتمزق



الحج ضيافة الله

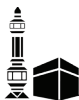
والصراعات.. فإنَّ كل ذلك ليس من الخير في شيء. إذن،
فلنتدارس هذا الامر.

القرآن يبشرنا بخير أمة أخرجت للناس، وهذه الامة التي
نعرفها ونسمع انباءها أبعد ما تكون عن المثل العليا التي بَشَّرَ
بها القرآن الكريم، اذ يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا
تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾^١.

فاذا كانت هناك مسافة شاسعة تفصل بين هذه الامة، وبين
تلك الامة التي بَشَّرَ بها القرآن، فكيف نستطيع ان نلغي هذه
المسافة التي تفصل بين القرآن وواقع المسلمين؟

الاستجابة لنداء الحج

ونحن في كل عام نستقبل ايام الحج، حيث يتوافد الملايين
من المسلمين من جميع أقطار الارض على بيت الله الحرام
ليستجيبوا لنداء ابراهيم الخليل عليه السلام، حيث أمره الله تعالى أن
يؤذن في الناس بالحج، ليلبغ الخالق نداءه الى اصلااب الرجال
وارحام النساء الى يوم القيامة. ونحن الآن اذا نظرنا بعين
البصيرة نجد أن الملايين من البشر يتهافتون على هذه البقعة
المباركة وهم يرددون نداء التلبية الذي هو استجابة لنداء النبي



ابراهيم، الذي يقول عنه عز وجل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^١؛ أي أذن لجميع الناس بالحج، لأن هذا البيت هو بيت الناس جميعاً، فهو اول بيت وُضع للناس، كل الناس.

ومعنى قوله تعالى: ﴿يَأْتُوكَ رِجَالًا﴾ أي مشاة. فرغم أن الاراضي هناك قفراء، ذات جبال وعرة، ومسالك صعبة، ولكننا نرى بين الشعاب المنبثة بين تلك الجبال اناساً يأتون مشاة أو على الابل التي تغدو ضامرة وهزيلة بسبب وعورة الطرق، والمسافات الشاسعة. وهذا من آلاء الله وآياته، اذ جعل تلك القلوب تهفو الى الحج.

المنفعة الكبرى للحج

ترى لماذا جعل الله تعالى البيت الحرام مثابة للناس وأمناً؟

ولماذا أذن ابراهيم الخليل بالحج في الناس؟

وهل هناك منفعة أعظم من أن يللم المسلمون أطرافهم،

ويجمعوا شتاتهم، ويغيروا واقعهم؟

ان هذه المنفعة هي اصل المنافع. فلقد جعل الله سبحانه

الحج في وقت واحد، كما يقول جل شأنه: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ



الحج ضيافة الله

مَعْلُومَتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ^١.

ونحن اذا قرأنا تروك الاحرام، نجد أن أهمها وأبرزها تلك التي تخدم وحدة المسلمين. فتروك الاحرام الاصلية اربعة، هي: الرفث أي الممارسة الجنسية بكل مقدماتها، والجدال، والفسوق، والصيد كما جاء في آيات اخرى. أما بقية تروك الاحرام، فانها تنبثق كلها من تلك التروك الرئيسية؛ منها ترك الزينة مثلاً.

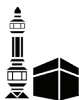
كما حرم تعالى الفسوق ؛ أي أن يتفاخر إنسان على آخر، ذلك لأنَّ الحج يجب أن يكون موضعاً يسقط فيه التفاخر والتعالي. فقد جاء في الحديث الشريف: «لَيْسَ لِلَّهِ مَنْسَكٌ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ السَّعْيِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يُذِلُّ فِيهِ الْجَبَّارِينَ»^٢.

ففي هذه المسيرة تسقط الاعتبارات والحواجز والانانيات لينعم الجميع بخيرات الحج.

وفي سورة المائدة وعندما يحدثنا القرآن عن شعائر البيت الحرام والهدي والقلائد، فانه يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ

١ - البقرة: ١٩٧.

٢ - فروع الكافي، ج ٤، ص ٤٣٤، ح ٤.



وَالْتَّقَوْا^ط وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ^ط.

وبناءً على ذلك فإن الهدف من الحج ان نوحد طاقاتنا،
واذا ما وجدنا اليوم هذا التفتت، واذا رأينا المسلم يقتل اخاه
المسلم، فاننا سنجد علاج ذلك في الحج الذي هو المكان
الذي يجب ان يتوافد اليه المسلمون جميعاً، ويوحدوا انفسهم،
ويلغوا الحواجز ليشهدوا منافع لهم. ومن اعظم هذه المنافع،
منفعة الوحدة والتفاهم والتحبب والتعاون على البر والتقوى
وعدم التعاون على الاثم والعدوان.

الحج . . علاج مشاكل الأمة

ترى كيف نستطيع ان نستخلص هذه الفائدة من الحج؟
للإجابة على هذا السؤال الهام، نقول: اننا وبسبب
التخلف، والافكار التي يبثها الطغاة بيننا، لم نعرف الدين حق
معرفته. في حين انه نظام الهي للبشرية يعالج كل مشاكلها.
فهو ليس مجرد تجربة بين الانسان وربه كما يقول بذلك بعض
الفلاسفة الغربيين الذين يرون أن الدين ما هو إلا علاقة
قلبية بين الانسان وخالقه. وبالفعل فقد اثرت هذه النظرة
علينا فانفصلت جميع مجالات حياتنا عن الدين، وخصوصاً

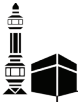


الحج ضيافة الله

المجال السياسي والاقتصادي والاجتماعي.. فترى الواحد منا يرتكب الذنوب من مثل الكذب، في حين انه يستعظم على الآخرين أن يكذبوا عليه.

وهكذا فقد اصبح الدين ألعوبة في ايدينا، فلم يعد ينفعنا. في حين أن الدين الذي امر الله به هو الدين الذي قال عنه نبينا الاكرم ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ»^١، والذي قال عنه: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ»^٢، فالاحداث التي تجري في عالمنا الاسلامي يجب ان نهتم بها، وكأنها تقع في بلادنا. فعلى ان نهتم بسائر المسلمين كما نهتم بعوائلنا، ولنعتبر المجتمع الاسلامي الكبير عائلتنا، لأن الدين يوصينا ان نوقر كبارنا، ونرحم صغارنا.

وللاسف فإن هذا الدين صار اليوم مهجوراً بيننا، وانا لا اخفي خشيتي من هذا الواقع المرير الذي نعيشه. ولذلك فان علينا ان نهتم جميعا بامور المسلمين، وان نبادر الى علاج المشاكل التي نعاني منها. فانا لست متأسفاً على الواقع الذي نعيشه، بقدر خشيتي من ان يكون سبباً لغضب الله سبحانه وتعالى علينا. علماً ان غضبه - جلّت قدرته - لا يقتصر على



علاج مشاكل الأمة

الدنيا فحسب، واننا سوف لا نتخلص منه بالموت، بل ان هناك حساباً عسيراً وراءنا. فكف يمكن لنا ان نجيب ربنا بهذه التبريرات العجيبة الداعية الى الدعة والراحة؟

انه تعالى شديد الحساب، وكتابه لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها، وإن كان ذنبنا يتمثل في ترك ركعتين من الصلاة؛ فكيف اذا كان هذا الذنب يتمثل في ترك نصر المظلومين؟

الميزان القرآني

فلنزن انفسنا بميزان كتاب الله الذي أنزل فرقاناً، ولنعرض انفسنا عليه. فهو كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو نور وبصائر. فلنرجع اليه فهو العلاج الوحيد لمشاكلنا واوزاعنا المتردية، لا أن نعود الى مقاييس اخرى، ولا ان نستند الى اهوائنا وافكارنا.

وهكذا فاننا اذا نظرنا الى الدين كمنهاج حياة وبصيرة، واخذناه من القرآن واحاديث النبي وأهل بيته عليه السلام، ومن كلمات فقهاءنا، لاختلفت اوضاعنا، ولاختلف حجنا، ولما أصبح هذا الحج مادياً نبغي من وراءه شراء السلع واقتناء الهدايا دون ان نراعي الحرمة العظيمة لهذه الشعيرة الالهية الكبرى، ولا تشغلنا عن تزكية انفسنا، واستغلال شعائر الحج



الحج ضيافة الله

في تهذيب اخلاقنا، ولأبدينا إهتمامنا بامور المسلمين، وتذاكرنا في أحوالهم، وسأل بعضنا البعض عن الاحداث التي تجري في بلاده وسبل معالجتها، واسلوب النهوض بالمسلمين.

إلا أننا - للأسف الشديد - نتصور ان الدين ما هو إلا طقوس وشعائر، علينا ان نؤديها دون ان تؤثر فينا، وتغير سلوكنا. في حين أن الدين هو صبغة الله؛ أي إن حياتنا يجب ان تصطبغ بالتوحيد بجميع ابعاده، وبصبغة الايمان. وهذا هو الدين الحق، لا الدين الذي ننظر اليه نظرة تجزيئية، ونفصل جوانبه عن بعضها.

وبناء على ذلك فإن هذه الأمة يجب ان تتحول الى تلك الأمة التي بشر الله تعالى بها عباده قائلاً: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١، والسبب في تفضيل هذه الامة على غيرها، هو انها تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر.

فهو - جل وعلا - لا يجعل مقياس التفضيل الصلاة -مثلاً-، بل ان الشعور الجماعي هو الذي من شأنه ان يجعل



علاج مشاكل الأمة

المسلمين خير أمة اخرجت للناس، لا أن يأتي أحدنا الى الحج ويده ملطخة بدماء اخوانه المسلمين، وقلبه مشحون بالاحقاد والعداوات والبغضاء.

فمن المعلوم ان الله عز وجل لا يمكن ان يتقبل حج مثل هذا الانسان الذي لم يلتزم بالشرط الاكثر اهمية في الحج، ألا وهو الاتحاد، والتكاتف، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعاطف، والتكافل معهم.



-4-

دعوة للتطوير الحضاري

في كل عام نستقبل الايام العشرة الاولى من شهر ذي الحجة الحرام، هذه الايام التي تتميز عن سائر ايام السنة بميزات عبادية ايمانية يتقرب بها المؤمنون الى ربهم؛ نستقبلها وقلوب المؤمنين في كل ارجاء العالم تحفق وَلَهَا الى البيت الحرام، والمشعر الحرام.

والمسلمون الذين سبق وأن أدّوا فريضة الحج، أو البعض ممن يهون الذهاب للحج إلا أن الموانع المختلفة أعاقتهم؛ كل هؤلاء يشعرون في هذه الايام انهم قد فقدوا شيئاً ما يجعلهم يحسّون بالفراغ المؤلم، لأنّ من الجدير بالانسان في هذه الايام ان يكون الى جوار بيت الله مع الطائفين والمصلين والرّكّع السجود.

ومع ذلك فان الذي يثلج صدور هؤلاء المؤمنين، أنّ



الحج ضيافة الله

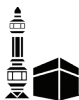
إخوانهم المؤمنين الآخرين الذين يفدون الى بيت الله من كل سهل وواد؛ هؤلاء هم الذي يمثلونهم، لأن سائر شخصيات المؤمنين تتماثل في قلوب حجيج بيت الله تبارك وتعالى. فهم الوفود، وكل منهم يمثل أسرته، وعشيرته، وقريته، وبلده.

ضرورة معرفة منافع الحج

وللحج منافع جمة يستفيد منها الحجاج وغيرهم من الذين لم تتح لهم فرصة الحج. ومن المعلوم إنَّ المنفعة لا يمكن الاستفادة منها دون معرفتها، فاذا لم نعرفها فان الفرصة ستفوتنا، وخصوصاً هذه الفرص الكبرى التي هي ارصدة الله تعالى لنا، والتي لا بد أن نبدلها من حالة القوة والامكان والاحتمال الى حالة الفعل والواقعية والتحقق.

وقد اشار سبحانه وتعالى الى هذه المنافع في الآية الكريمة: ﴿لَيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةٍ الْأَنْعَامِ﴾^١.

وهذه المنافع مشتركة بين الحجاج وبين المسلمين الآخرين في كافة الاقطار ممن لم يوفقوا لاداء هذه الفريضة الالهية. ومن المعلوم ان رصيد المسلمين من شعائر الدين كبير،



إلا أن استفادتهم منها قليلة. وعلى سبيل المثال، فإن الصلاة - هذه الشعيرة الالهية المثلّية التي هي افضل اعمال أمة النبي محمد ﷺ - تحمل في طياتها إمكانيات لا تعد ولا تحصى. فهي باستطاعتها ان تحمل البشرية الى حيث السعادة في الدنيا، والفلاح في الآخرة. فهي معراج الانسان الى الله عز وجل، وقربان كل تقي يتقرب بها الى الباري. ومع ذلك فان انتفاعنا من هذه الصلاة ضئيل. فما هي إلا عادة ورثناها من آبائنا السابقين، ونحن بدورنا نوصلها الى الاجيال اللاحقة دون ان نستفيد من حكمها وفوائدها. وهكذا الحال بالنسبة الى سائر العبادات الاسلامية.

الحج قمة الشعائر اليمانية

والحج يقع في قمة الشعائر اليمانية التي جعلها الله سبحانه خلاصاً للانسان من كل غل وقيد وشقاء وعذاب. وللأسف فان الأمة الاسلامية لم تعرف بعد كيفية التعامل بحكمة مع هذه الشعيرة الالهية التي توفر لنا المزيد من الفوائد والمنافع، بل إننا ربما لا نحقق من فوائد الحج سوى واحد بالالف، أما الباقي فنحن غافلون عنه بسبب قلة وعينا، وعدم معرفتنا بمدخل الحج ومخارجه، وآداب التعامل مع هذه الفريضة



التي اوجبها الله تعالى علينا.

وفي هذا المجال قال ربنا عز وجل لنبيه ابراهيم عليه السلام عندما بنى الكعبة، وامره بدعوة الناس الى الحج: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾^١. فما كان من ابراهيم الخليل عليه السلام إلا ان صعد الجبل ونادى في الناس، وحثهم على الحج. علماً ان الحياة لم تكن موجودة في ارض مكة الجرداء، ولكن الله حمل كلام نبيه الخليل الى كل اذن واعية، وها هي ذي السنون والعصور تمر وتتوالى، ووفود الرحمان تتقاطر الى بيت الله بكل لهفة واشتياق، يتجاوزون كل الصعاب، ويركبون الاخطار في سبيل ان يصلوا الى بيت الله الحرام.

تكريس حالة الخضوع للخالق

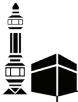
ثم يقول تعالى: ﴿يَا تُؤْكِرُ رَجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^٢.

١٠٠

فمن جملة آداب الحج استحباب المشي، وقد فضّل الله تعالى الحج مشياً على الركوب، الامر الذي يدل على ان المشي للعبادة هو من دلائل التذلل والخضوع لله.

١- الحج: ٢٧.

٢- الحج: ٢٧.



وفي هذا المجال يروى ان الامام السجاد عليه السلام كان يمشي الى الحج على قدميه الحافيتين متخطياً اشواك الصحاري ورمالها الحارقة، وصخور المرتفعات وووعة الطريق^١، وكان عليه السلام يضيف الى ذلك عملاً آخر باختياره القوافل التي تأتي من البلاد البعيدة والتي لا تعرفه، لكي يقوم بخدمتها. فيختار - مثلاً - قوافل أهل الكوفة، وفي ذات مرة التقت قافلة أهل العراق مع قافلة أهل المدينة في الطريق، فتحلق أهل المدينة على الامام يستفيدون من علمه ومعارفه، ويتبركون به، ويسألونه الدعاء.. فتعجب أهل الكوفة وقالوا: من الرجل؟ فقال أهل المدينة: انه الامام علي بن الحسين بن علي ابن ابي طالب. فقالوا: لقد كنا نتعامل معه كأحدنا، بل كنا نأمره باعتباره غريباً مجهولاً وهو يطيع ذلك. ولما حدث ذلك أمر الامام اصحابه بنقل متاعه الى قافلة اخرى، فجاء أهل الكوفة يسألونه البقاء معهم، فقال عليه السلام لهم: سأرحل عنكم لانكم عرفتُموني، واني اكره ان اكون مع قافلة تعرفني.

ان هذه الرواية تدل بوضوح على أنَّ الحج ينبغي أن يوجد حالة التذلل الى الله جل وعلا عند الانسان ليوصلها بسائر

١- أنظر: الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، ج ٢، ص ١٤٤، قال: (حج علي بن الحسين عليه السلام ماشياً، فسار عشرين يوماً من المدينة إلى مكة).



حياته. فالامام الصادق عليه السلام يقول في هذا الصدد: «مَا مِنْ بَقْعَةٍ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمَسْعَى، لِأَنَّهُ يُذَلُّ فِيهَا كُلُّ جَبَّارٍ»^١.

وفلسفة الحج هذه تتجاوز الى سائر الاحكام الشرعية، لأنَّ حالة الخضوع والتذلل للخالق عز وجل إنما هي مطلوبة في كل عمل عبادي بل في كل عمل وحركة في الحياة.

ومن حِكَم الحج والعلل التي بسببها فرضه الله سبحانه على المسلمين، ذوبان المجتمع الاسلامي في ذاته ليخلق واقعاً جديداً؛ فمسلمو آسيا يلتقون مع مسلمي اوروبا، والسود يلتقون مع البيض، وهم جميعاً يتبادلون الآراء حول اوضاعهم، ويجددون عهدهم مع الله تبارك اسمه للقيام باوامره، وترك نواهيه. والحجاج ينتفعون من كل هذه اللقاءات في سبيل الهدف الأعلى، وهو الامتثال لله سبحانه، وتنفيذ جميع أوامره.

مجالات منافع الحج

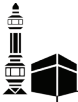
١٠٢

إنَّ هذا النموذج البشري الذي ينحدر على الديار المقدسة، من شأنه ان ينفع المسلمين في عدة مجالات هي:

١ - الاحساس بالشخصية والكيان

فعلى الرغم من ان الانسان قد اوتي عقلاً وفكراً، إلا أن

١ - فروع الكافي، ج ٤، ص ٤٣٤، ح ٣.



الكثير من الناس نجد ان عقولهم وقلوبهم في عيونهم. فاذا تم حشدهم لتأدية عمل ما، فانهم لا يحسون بانفسهم، ولكن تصور وجود امة مسلمة سوف يتحول في الحج الى واقع عيني مائل أمامهم.

٢- ايجاد توج فكري

والتموج البشري في الحج سوف يحدث في الامة تموجاً فكرياً، وهذا ما تؤكد عليه الاحاديث الشريفة التي تقول: «أَعْلَمُ النَّاسِ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ»^١. و «مَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا»^٢. فكيف اذا ركز الحجاج نقاشاتهم وبحوثهم في هذا المؤتمر العظيم حول قضايا الامة، وخصوصاً إن أكثر القيادات الاسلامية تهوي الى الحج بغية ارشاد الناس، وتوجيههم لما فيه حسن العاقبة؟ وبلاضافة الى ذلك فان هذا الملتقى البشري سوف يسهم في ايجاد رابطة فكرية قوية تقدم للامة حلاً ناجعة ومثمرة لكل مشاكلهم التي يعانون منها.

٣- بناء الكيان الروحي.

فالتموج الانساني المحتشد في الحج يفرز روحاً هائلة يهديها

١- من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٣٩٥.

٢- نهج البلاغة [صبحي الصالح]، قصار الحكم، رقم ١٦٣، ص ٥٠٠.



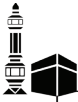
الحج ضيافة الله

الى كل حاج استطاع الاستفادة من احكام الحج. فالانسان المسلم حينما يجد سائر المسلمين منهمكين في العبادة، فانه يندفع ذاتياً الى التبتل. فعلى سبيل المثال: عندما تقام الصلاة جماعة فانها تكون أشد أثراً، وأبلغ وأنفذ في النفس من جميع النواحي.

٤ - التموج الحضاري

فالفوارق العرقية والقومية والطبقية يسقط اعتبارها في الحج لتعطي للحجاج دروساً في الوحدة الحقيقية بين المسلمين. وحينئذ تنصهر جميع النفوس والطاقات في بوتقة التوحيد.

وعلى المسلمين كافة ان يجسدوا هذه الفوائد في واقعهم الملموس، لكي لا تقتصر فوائد الحج على جماعات معينة. ومن اجل تحقيق استفادة مثلى من الحج، على المسلمين ان يلتقوا بممثلهم ووفودهم الى الحج ليستطلعوا اخبار الأمة الاسلامية. وهذا ما تؤكدُه الاحاديث التي حثت على زيارة الحاج والسلام عليه عند عودته، كالحديث الشريف الذي يقول: «بَادِرُوا بِالسَّلَامِ عَلَى الْحَاجِّ وَالْمُعْتَمِرِ وَمُصَافَحَتِهِمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُخَالِطَهُمُ الذُّنُوبُ»^١.



هل نحن في مستوى هدف الرسالة

وفي كل سنة تطل علينا فيها ايام الحج المباركة، لا بد من تذكر حقيقة هامة، وهي أن الرسالة الاسلامية التي بعثها خالق الارض والسماء الى البشر انما جاءت لتقضي على كل الوان الشقاء والعناء والآلام التي يعاني منها البشر، ولكن علينا ان نسأل انفسنا بجديّة: ترى هل تجسد هذا الهدف على واقع المسلمين اليوم؟

بالطبع لا، لأنّ المآسي تتعمق وتزداد عند الذين يدعون انتماءهم الى الدين. فقائمة الدول الاكثر فقرا وتحلّفا بتبدئ بالبلدان الاسلامية. والحركات الاسلامية يمكنها ان تلقي بسيل التهم على الحكام الظلمة والطواغيت في تخلف المسلمين. وهذا صحيح لانهم رمز الفساد، بل أكبر عامل في تكريس تخلف الأمة وتبعيتها، ولكن هل هذا يعني ان يتملص الانسان المسلم من تكليفه الشرعي؟

كلا بالطبع، لأنّ المسؤولية ليست ملقاة على عاتق الطغاة فحسب، وانما للمجتمع قسط وافر من مسؤولية ايجاد التخلف. والقرآن الكريم عندما يبين لنا فساد الحكم السياسي، وكيفية ظهور الحكومات والانظمة الظالمة، يوجه المسؤولية الى المجتمع



ايضاً. نلاحظ ذلك في قوله سبحانه:

﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾^١.

وهذا يعني ان الفاسقين هم الذين تسلموا زمام السلطة السياسية، واوصلوا البلاد الى حالة الدمار. والله تبارك وتعالى انما سمح لهؤلاء المترفين ان يصبحوا امراء هذه القرية، التي تعني المنطقة التي يعيش فيها الانسان أياً كانت، لانه أراد أن ينتقم من اهل هذه القرية لفسقهم، وخروجهم عن تعاليم الدين. ولذلك قيل: "كما تكونون يولى عليكم".

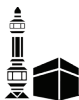
فالحكومات هي اساس الفساد، ولكنها ليست كل الفساد، لأن هذا الفساد يضرب بجذوره في ارض المجتمع أولاً ثم ينمو ليتجسد في النظام السياسي.

وعلى هذا الاساس فان السبب الرئيس في تخلف الأمة، هو فقدان الروح الحقيقية للاسلام، والتعويض عنها بالقشور السطحية. وبمعنى آخر؛ فاننا قد أفرغنا التعاليم الاسلامية من اهدافها وحكمها وحقائقها، ظانين ان تلك القشور قد تسقط التكليف الشرعي عنا. في حين ان الله عز وجل يقول:

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^٢.

١ - الإسراء: ١٦.

٢ - المائدة: ٢٧.



الامتثال للقيادة من مقتضيات الحج

فالحج لا يمكن ان يُتقبل إلا من الانسان المتقي، لأنّ الحج عندما يتحول الى عنوان وشعار للانسان دون معرفة الدوافع والفوائد الحقيقية له، سوف يعطي منفعة قليلة، في حين ان معرفة احكام الحج وعللها من شأنها ان تزود الانسان بمنافع كثيرة. وعلى سبيل المثال فان الله عز وجل يذكر جانباً من فوائد الحج في قوله: «ثُمَّ لَيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ»^١.

وكلمة «تَفَثَ» انما تعني الامام المعصوم عليه السلام والقيادة الشرعية في زمن الغيبة. وهذا يعني ان الحج لا يمكن ان يُقبل دون ان ينتمي الانسان المسلم الى الامام، ويأخذ التعاليم الرسالية منه، ثم يبدأ ببث وصاياه وارشاداته في اصقاع الارض لنشر افكار القيادة الرسالية.

وبناء على ذلك فان الحج الذي يتضمن الالتقاء بالقيادة الرسالية، ومن ثم نشر افكارها ومبادئها، والحج الذي يبعث في نفوس المسلمين روح النهضة، واجتناب الرجس وقول الزور.. هذا الحج هو الذي ينفع الناس، ويرفع المشاكل



الحج ضيافة الله

والآلام عن الأمة الاسلامية. واذا كان الحج في هذا الاطار،
فانه سيكون حجاً حقيقياً ونافعاً.

الاسلام دين الحضارة

ومن المعلوم ان الاسلام هو دين الحضارة، حيث يربي
الانسان على التضحية والعمل والجدية والتفكير المنهجي.
ونحن اذا فقدنا هذه القيم في واقعنا، فاننا سوف لن نصل
الى ما نصبو اليه. أما اذا تحول الاسلام في واقع الامة الى هذه
القيم، وخصوصاً عند ابناء الحركة الاسلامية والطلبة الذين
يجب ان يكونوا الانموذج الذي يُقتدى به في التقنية وسائر
الاعمال والمجالات الاخرى، فاننا سنستطيع - دون ريب -
ان نحقق اهدافنا وطموحاتنا الحضارية والرسالية.

ولذلك ينبغي ترسيخ هذه القيم الحضارية في الامة من
خلال التأكيد على الفرائض والشعائر الاسلامية التي يقف
الحج في مقدمتها، والذي يدعونا الى فهم الاسلام من جديد،
وربطه بواقع الامة من خلال جميع الطاقات وصهر القدرات
في بوتقة التوحيد، لأن ذكر الله تعالى يجعل الانسان في مستوى
حضاري متقدم. فهو يدفعه الى ان يرتفع على اهوائه وشهواته،
ومن ثم السيطرة على الحياة وتحقيق التقدم فيها.



-١٠-

نموذج الحضارة الاسلامية

لقد رسم لنا القرآن الكريم معالم حضارية سامية، قوامها رفض الشرك بالله العظيم، والنهي عن الظلم، ومنع الاعتداء، والوقوف بوجه إستعباد الناس من قبل بعضهم البعض.

هذه الحضارة التي بشر بها الاسلام، لا تزال حلمًا يتمناه كل انسان. على الرغم من أنَّ الموجة التي احدثتها رسالة السماء في اول انطلاقتها، وفي فجر بعثتها؛ هذه الموجة اعطت البشرية المزيد من التقدم والرقى والتكامل في مختلف أبعاد حياتها.

فيا ترى اين هذه الحضارة، وهل يمكن أن تتحقق مرة اخرى؟

بادئ ذي بدء؛ لا يصح القول ان هذه الحضارة مستحيلة التحقق. لماذا؟



الحج ضيافة الله

لأنها لو كانت مستحيلة فعلا لما بَشَّر بها الاسلام، وما خلَّدها القرآن في آياته، وما أعلن عنها رسول الله ﷺ لأجيال المسلمين. وفي هذا برهان كافٍ لإمكانية عودة هذه الحضارة من جديد، اذا ما توفرت شروطها في أي عصر وأي مصر.

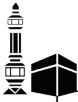
الحضارة الاسلامية افق بعيد

ونظرنا للحضارة الاسلامية يجب أن لا تتأطر بحدودها التاريخية، أو تجاربها المعاصرة. فمن الخطأ أن نعتبر ما جرى في التاريخ الاسلامي الاول نموذجاً تطبيقياً كاملاً للاسلام، أو القول بأن النموذج الكذائي الذي كان في الفترة الكذائية في التاريخ أو النموذج المعاصر لنا هنا أو هناك هو النموذج الذي بَشَّر به الاسلام. لماذا؟

لأنَّ هذا النوع من التفكير يسلب الابداع من الانسان، ويعرقل حركته، مما لا يدعه يعمل من أجل المستقبل.

١١٠

في حين أن الحضارة التي بَشَّر بها الاسلام، إنما هي أفق عظيم وبعيد وعال، وهذا الافق لا بد لنا ان نتحرك نحوه، وان نحصل منه على ما نستطيعه.



التوحيد سنام حضارة الاسلام

ومن أبرز ما في الاسلام، أنه يريد للانسان أن يعبد الله تعالى وحده. وكل الانبياء عليهم السلام، إنما بعثهم الله عز وجل لأجل تكريس هذه الحقيقة. وقد جعل ربنا التوحيد كلمة سواء بين الاديان السماوية، حيث قال جل وعلا: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ اشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ۝١﴾.

هذا المعلم الحضاري، إنما يعني أن الناس كلهم سواسية في الخلق. وعليه لا يحق لأحد أن يعبد هذا أو ذاك من الناس، إذ أنَّ العبادة خاصة بالله تعالى.

من هنا فان العربي لا يحق له ان يستكبر على الأعجمي، والأعجمي لا يُقبل منه ان يتفاخر على العربي. وذلك لأنَّ الله عز وجل خلق الناس كأَسنان المشط، سواء كانوا اتراكاً أو هنوداً أو افغاناً أو روساً أو غير ذلك. وقد قال الامام أمير المؤمنين عليه السلام عن الناس ب: «أَتَمُّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ،



وَأَمَّا نَظِيرُكَ فِي الْخَلْقِ^١.

فان لم يكن الإنسان اخاً لك في الدين، فهو نظيرٌ لك في الخلق، حيث له عينان ولسان وشفتان، وله مثلما لك من تطلعات واهداف وطموحات. الى هذا وامثاله تدعو حضارة الاسلام.

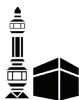
الحج نموذج الحضارة

والحج من أبرز تجليات الحضارة الاسلامية، اذ جعل الله جل وعلا البيت الحرام نموذجاً لتحقيق التطوع الاسمي لهذه الحضارة.

وبهذا أراد الاسلام أن يجعل للبشرية قدوة ومثالاً وطريقاً لكي يرجعوا اليه، حتى لا يقول أحد بانه يستحيل أن تكون مثل هذه الحضارة فوق الارض. فحينما تذهب الى مكة المكرمة، وتطوف حول البيت الحرام، انظر الى من هم حولك في الطواف، حيث تجد الابيض والاسود، الغني والفقير، الكبير والصغير، العربي والأعجمي.. الكل يطوفون جنباً الى جنب حول ذلك البيت المكرم دون أي مائز يُذكر.

وهذا المشهد العظيم يتكرر أيضاً في عرفات والمشعر الحرام

١ - نهج البلاغة [صباحي الصالح]، عهده الى مالك الأشتر، ص ٤٢٧.



نموذج الحضارة الاسلامية

ومنى، حيث تجدد ملايين الناس بمختلف جنسياتهم والوانهم يجتمعون الى بعض لتأدية مراسيم فريضة الحج.

والى هذه الصورة الحضارية اشار الامام الحسين عليه السلام في دعائه في يوم عرفه، حيث قال: «فَإِلَيْكَ عَجَّتِ الْأَصْوَاتُ بِصُنُوفِ اللُّغَاتِ».

وعلى الرغم من أنَّ هذا التجمع العظيم الذي ضم جنسيات متعددة، ولغات مختلفة.. يعطي صورة رائعة لحضارة الاسلام، عمد الاسلام الى أن يجعل حتى ثيابهم من نوع واحد خلال أداء مناسك الحج، والكل يردد نفس الكلمات: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ» وهم يتحركون باتجاهات موحدة.

هذا النموذج الحي يجعل الانسان يؤمن بكل وجوده بإمكان تشكيل حضارة تجمع الناس كلهم، دون أية فوارق عرقية أو طبقية أو عنصرية.

مكة مركز الانتشار الحضارى

لا شك إنَّ ما يجري في مكة المكرمة أو في وادي عرفات أو المشعر الحرام خلال ايام الحج، انما يعكس جزءاً صغيراً من مظاهر الحضارة الاسلامية، وفي هذا دليل كاف على امكانية

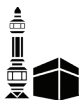


الحج ضيافة الله

أن تكون مكة المكرمة مركزاً للانتشار الحضاري في كل مكان. وقد جاء في الحديث المروي عن أبي عبد الله الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ دَحَا الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِ الْكُعْبَةِ»^١، وهذا يعني ان الله سبحانه دحى ونشر الارض من تحت مكة المكرمة. أما كيف كان هذا من الناحية الجيولوجية، لا أعرف. ولكن لا أشك في أن مكة المكرمة بأجوائها الروحانية، ومعالمها الرسالية، تبعث بالأمل والايان والتوحيد في نفوس الملايين من الناس. وقد تلمس هذا بوضوح من خلال توجه المسلمين اليها في اداء صلواتهم اين ما كانوا.

مكة من الحرمات الالهية

وقد اولى الله تعالى مكة المكرمة مكانة خاصة، حتى جعلها من الحرمات تشريعياً وتكوينياً. فكل من يأتي اليها يتمتع بالأمن والسلامة، وكل من يعيش فيها يتمتع بالطمأنينة والاستقرار. لذلك تجد الناس يتوافدون عليها من اقطار الارض دون وجل. واذا سؤلت لأحد نفسه بالاعتداء على مكة، سرعان ما سينال جزاءه من الانتقام الالهي. وقد أخبرنا ربنا عز وجل بقصة أصحاب الفيل، حينما قادهم ابرهة ملك



الحبشة ليهاجم على مكة بقواته المدججة بالسلاح، وبفيلته المدربة على القتال، ليمحي منها الكعبة المشرفة؛ مركز التوحيد ومعلم العبادة. غير انهم قبل ان يدخلوا مكة معتدين عليها، ارسل الله عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل، ففضى عليهم اجمعين، والى ذلك اشار القرآن الكريم في سورة الفيل: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ* أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ* أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ* وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ* تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِيلٍ* فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾. وكل من حاول الاعتداء على مكة المكرمة لم تكن عاقبته على خير أبداً.

وفي حديثه عن مكة، قال ربنا جل جلاله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكِيفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾.

وأبرز مصاديق الصد عن سبيل الله هو الصد عن مكة المكرمة، وبالذات عن المسجد الحرام. من هنا تجدد الحكومات على اختلاف مشاربها ومذاهبها وألوانها، لا تستطيع أن تمنع الناس من الحج، واذا ما اصدرت قراراً بمنع الحج، فانها لا تستمر طويلاً حتى تلغي ذلك المنع، لأنه ليس بوسعها أن تمنع



الحج دائماً.

ثم يؤكد القرآن على أنَّ المسجد الحرام ليس لأهل مكة، ولا لمن يُشرف على تلك الديار المقدسة سياسياً أو اقتصادياً. كلا، إنما هي لأهل مكة وغير أهلها؛ إنها لكل الناس.

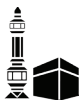
ثم يقول ربنا عز وجل: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُزِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. فالذي يحارب مكة، ويؤذي حجاج بيت الله الحرام، فانه لا بد له من أن يذوق العذاب الاليم.

بعد هذا، يقول ربنا جل وعلا: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾.

من خصوصيات هذا البيت، أنه لا أحد يحق له أن يتسلط على أحد باسم اللغة أو باسم المذهب أو باسم القوم. انه بيت الجميع. وعلى هذا يجدر بكل انسان يدخل مكة المكرمة ان يتجرّد عن انتماءاته الجغرافية والسياسية والعرقية. فلا يتعصب لأرض أو لغة أو قوم، وانما يتوجه خالصاً لله رب العالمين. عند ذاك يشعر بانه عبد لله تعالى، فيدرك انسانيته، ويتحسس بروحانية التوحيد، ويعيش حياة الطهر.

ثم يقول ربنا سبحانه: ﴿أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾.

صحيح إن الشرك في كل مكان مرفوض، ولكن في هذا



نموذج الحضارة الاسلامية

الموقع الشريف؛ مركز تجلي التوحيد، إنما يكون الرفض للشرك
أجلى من كل مكان.

﴿وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ أي ان
البيت الحرام يجب ان يكون دائماً نظيفاً، طاهراً، مطهراً.

حضارة الطهر

من أبرز افكار الحضارة الاسلامية واولها، فكرة ان الارض
لله تعالى لا لأحد غيره، وأنَّ الانسان عبدٌ لرب العزة لا لأحد
غيره، وان العصبية والحميات والعنصريات، كل هذه
الحواجز يجب ان تذهب الى غير رجعة من حياة المسلم. ثم
يؤكد الدين على ضرورة الطهارة والنظافة، إذ أن الانسان
يعيش مرحلتين: مرحلة الفطرة النقية، ومرحلة الحياة الملوثة.
فأول ما يخرج الانسان من رحم أمه، يخرج بفطرة طاهرة نقية،
غير أنَّ هذه الفطرة مع الزمن تتلوث بالمحيط، كما أنَّ الجسد
يتلوث بالمحيط، فيتجمع عليها غبار الحميات والذاتيات
والعصبية.. وهذه بدورها تشكل حواجز تحول دون
معرفة الحقائق، ومعرفة النفس، ومعرفة الدين. وبالتالي يصير
الانسان في ﴿ظُلُمْتُ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدُهُ لَمْ



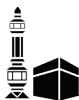
يَكْذِرُهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ^١.
ولا سبيل لرجوع الانسان الى فطرته النقية، في روحه
وفي عقله وايضاً في جسده، إلا بالطهر. وقد جعل الله تعالى
الحضور في وادي عرفات في عصر يوم التاسع من شهر ذي
الحجة، فرصة للعودة الى الطهر من جديد، حيث يخاطب رب
العزة كل من حضر هناك بلا استثناء: عبدي استأنف العمل،
فقد غفرتُ لك ما سبق. عند ذاك يحصل الانسان على الطهر
مائة بالمائة، فيستأنف العمل بكل صفاء ونقاء.

حضارة الانفتاح

ومن أبعاد الحضارة الاسلامية الاخرى؛ أنها تريد الخير
والبركة والرحمة للناس جميعاً، دون أن تقتصر في ذلك على من
يؤيدها ويؤمن بها فقط.

من هنا حينما استقر النبي ابراهيم عليه السلام في مكة المشرفة، وبنى
البيت، عند ذاك امره الله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا
وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾.

فلم يفكر النبي ابراهيم عليه السلام في أن يحصر فضيلة الحج بالعرب
فقط، ولا بأهل بابل الذين كان ينتسب اليهم، ولا لأهل مصر



الذين مرَّ عليهم، ولا لأهل كنعان حيث هاجر اليهم، ولم يخص بذلك أولاده وجماعته من العبريين والعرب، وإنما دعا البشرية جمعاء الى اداء فريضة الحج ليحظوا بفضلها وكراماتها. فالاسلام يرفض الانغلاق على الذات في اية قضية تعود بالنفع على الآخرين، لأنَّ حضارته للجميع. على عكس ما يفكر به الغربيون، اذ يتصورون ان كل ما توصلوا اليه من علوم ومعارف وتطور صناعي، إنما هو حكر لهم، ولا يحق لأحد أن يمد عينيه الى تلك القضايا، لأنها تُعدُّ من اسرارهم. وما يسوقونه اليوم الى هذا البلد أو ذاك، انها هو من قديم علومهم ومعطيات تكنولوجياتهم. وهذا ايضاً لا يعطونه إلا مقابل مبالغ طائلة، وشروط قاسية.

حضارة متكاملة

ولأنَّ الاسلام يريد الخير للجميع، فهو يأخذ بأيدي الناس صوب التكامل المعنوي، كما ويأخذ بأيديهم صوب التكامل المادي. فالحضارة الاسلامية إنما تنطلق ابتداءً من الروحيات والمعنويات، ومن ثم تنتشر من افق المعنويات الى أفق الماديات. لذلك يقول ربنا عز وجل: ﴿لَيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا



الحج ضيافة الله

أَسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ
فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ.

وبهيمة الانعام هذه انما هي مادة للأكل، ولأجل أن لا
تحجب الانسان عن المعنويات أكد الله تعالى على ذكره في أيام
معلومات وإطعام البائس الفقير.

هذه هي بعض الابعاد المهمة في فريضة الحج، النموذج
الحضاري الذي بشر به الدين الاسلامي. فأين نحن من هذا
النموذج؟

لكي نجسّد هذا النموذج في واقعنا، يجدر بنا ان نعيش روح
الحج. فحينما يحضر أحدنا في أماكن أداء مناسك الحج، يجدر
به أن يتواجد في عمق الناس دون أن ينغزل عنهم، حتى تظهر
عظمة اجتماع المسلمين الى بعضهم البعض، دون أن تجزّئهم
الاقليميات والقوميات، ودون ان تميزهم الالقباب والسمات.
فالكل يعيش في رحاب الاسلام بوّد واحترام، ومحبة ووئام.

